

الشرف الأعلى

في ذكر قبور مقبرة باب المعلا

جمع

الإمام أبي عبد الله جمال الدين محمد بن علي بن محمد العبدري الشيبي

المتوفى سنة (٨٣٧هـ)

تحقيق

الشريف منصور بن صالح أبو رياش

مكة المكرمة

١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م

الشَّرَفُ الأَعْلَى

فِي ذِكْرِ قُبُورِ مَقْبَرَةِ بَابِ المَعْلَا

جمـع

الإمام أبي عبد الله جمال الدين محمّد بن علي بن محمد العبدري الشَّيبي

المتوفى سنة (٨٣٧هـ)

تحقيق

الشريف منصور بن صالح أبو رياش

مكة المكرمة

١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

القرشي، جمال الدين محمد
الشرف الأعلى في ذكر قبور مقبرة باب المعلا / جمال الدين محمد
القرشي؛ الشريف منصور أبو رياش - مكة المكرمة، ١٤٢٦ هـ
١٤٢ ص، ٢١ × ٢٩,٧ سم
ردمك: ٣-٥١٨-٤٩-٩٩٦٠
١. التراجم ٢. الإسلام - تراجم
أ. أبو رياش، الشريف منصور
ديوي ٩٢٠ ١٤٢٦/٥٥٢٣

رقم الإيداع: ١٤٢٦/٥٥٢٣
ردمك: ٣-٥١٨-٤٩-٩٩٦٠

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملًا، والصلاة والسلام على من رفع الله ذكره سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تلا.

أما بعد:

فإن من غريب ما ألف في تاريخ الرجال وتراجمهم كتاب: «**الشرف الأعلى في ذكر قبور مقبرة المعلاة**» اعتمد فيه مؤلفه على ما دون على شواهد قبور مقبرة المعلاة، واطلع عليه المصنف بنفسه وشاهده، ثم يذكر عقب ذلك إن كان هذا المترجم له قد ذكره من صنف في هذا الفن من علماء التاريخ والتراجم.

وقد صدر المؤلف كتابه بفصول تتعلق بذكر الموت وأحواله، ويبدو أن الكتاب لم يتمه مؤلفه إذ أدركه الموت قبل ذلك، ولم يتم من مؤلفاته إلا القليل، كما ورد ذلك في ترجمته.

وقد استخرت الله تعالى في إخراج الكتاب بعد التعليق على بعض القضايا التي كانت سائدة في ذلك العصر، وهي مؤاخذات على الكتاب فيما يتصل بقضايا العقيدة والفكر، وقد علقت على ذلك ووضحته في موضعه.

وشد عزمي في إخراج الكتاب المقالة العلمية الممتعة التي كتبها علامة الجزيرة الشيخ حمد الجاسر رحمه الله عن «منائح الكرم» للإمام السنجاري، والذي قام بتحقيقه طلاب جامعة أم القرى، وكان لي شرف طبعه.

يقول الشيخ حمد: «ولو أردنا رفض كل مؤلف يقع فيه ما يخالف ما نراه صحيحًا لما بقي لنا من تراثنا الضخم في جميع أنواع المعارف والعلوم، إلا القليل». وصدق الله العظيم القائل: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾[1].

وقد قدمت بين يدي الكتاب دراسة تناولت الكتاب ومؤلفه. أسأل الله عز وجل أن أكون قد وفقت في ذلك.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

كتبه

الشريف منصور بن صالح أبو رياش

---

(١) سورة النساء: آية ٨٢. وانظر المقالة في جريدة عكاظ، العدد ١٢١٨٢.

ترجمة المؤلف

◆ اسمه ونسبه ◆

هو: محمد بن علي بن محمد بن أبي بكر بن محمد بن ناصر بن أحمد الجمال، أبو المحاسن، القرشي، العبدري، الشيبي، المكي، الشافعي. ويدعى: ناصر بن أحمد بن بُحَيْر - بضم الباء الموحدة، وفتح الحاء المهملة، وسكون الياء المثناة من تحت، وبعدها راء[(١)].

◆ مولده ونشأته ◆

ولد في شهر رمضان سنة (٧٧٩هـ) تسع وسبعين وسبعمائة بمكة المشرفة، ونشأ بها.

◆ طَلَبه العِلم ورحلاته ◆

لم تتضح لنا - من مصادر ترجمته التي توفرت لدينا - السنة التي بدأ فيها تلقيه العلم.

وقد ذكرت تلك المصادر أنه رحل في طلب العلم إلى كل من: شيراز، وبغداد[(٢)]، ومراغة، وأكرمه صاحب شيراز[(٣)] ودخل بلاد اليمن، وأقام بها مدة، وأصبحت له فيها مكانة رفيعة، وحظ وافر عند ملكها الناصر[(٤)]، كما رحل إلى مصر والشام[(٥)].

قال ابن فهد عنه: «إنه كان يحفظ أربعة وعشرين ألف بيت مفرد من الشواهد»[(٦)].

ثم دخل القاهرة فى أثناء سنة ثلاثين لدين ركبه فولاه الأشرف برسباي قضاء مكة المشرفة[(٧)].

◆ شيوخه ◆

تتلمذ على عدد كبير من أهل العلم، وأشهر شيوخه:

* برهان الدين، ابن صديق[(٨)]، سمع منه: (صحيح البخاري) و (مسند الدارمي)[(٩)].

---

(١) الدر الكمين بذيل العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين لابن فهد: ٢١٧/١.

(٢) إنباء الغمر بأبناء العمر: ٣٢٣/٨، وشذرات الذهب: ٣٢٥/٩.

(٣) الدر الكمين: ٢١٩/١.

(٤) البدر الطالع: ٢١٤/٢.

(٥) معجم المؤلفين: ٤٥/١١، والتاريخ والمؤرخون بمكة: ص١٢٦.

(٦) الدر الكمين: ١ :٢١٩.

(٧) الدر الكمين: ٢١٩/١.

(٨) هو: إبراهيم بن محمد بن صديق الدمشقي الرسام، برهان الدين، أبو إسحاق، ويعرف بـ: «برهان الدين ابن الرسام».

(٩) الدر الكمين: ٢١٧/١.

* القاضي علي النُّوَيْري[١]، سمع منه (جامع الترمذي)، و(الاكتفاء)، و(قصيدة البسكري: دار الحبيب أحق أن تهواها)[٢].
* الجمال الأميوطي[٣]. وقد سمع منه بعض (سنن ابن ماجة)، وبعض (السيرة الكبرى لابن سيد الناس)[٤].
* البرهان الأبناسي[٥]، وقد سمع منه بعض (سنن ابن ماجة)[٦].
* الصدر المناوي[٧]، وقد عده ابن فهد مما أجاز مؤلفنا: محمد بن علي الشيبي[٨].
* وتفقه على يد القاضي جمال الدين بن ظهيرة[٩]، ولازمه كثيرًا وانتفع منه.
* النشاوري[١٠]، وسمع منه: (جامع الترمذي) خلا المجلس الأول، وبعض (صحيح

---

(١) هو: علي بن محمد بن محمد بن علي، أبي اليمن النويري، القاضي نور الدين.
(٢) الدر الكمين: ١/٢١٧.
(٣) هو: إبراهيم بن محمد بن عبد الرحيم بن إبراهيم، جمال الدين، اللخمي، أبو إسحاق الأميوطي، ولد في سنة ٧١٥هـ، أديب من فقهاء الشافعية، مصري، ناب في الحكم بالقاهرة، وهاجر إلى مكة واستوطنها سنة ٧٧٩، وتوفي بها سنة ٧٩٠هـ. أخباره في: الدرر الكامنة: ١/٥٨، وشذرات الذهب: ٦/٢٥٠، والضوء اللامع: ١١/١٨٥.
(٤) الدر الكمين: ١/٢١٧.
(٥) هو: إبراهيم بن حجاج بن محرز بن مالك الأبناسي، برهان الدين، أبو إسحاق، ولد بعد ٧٨٠هـ بأبناس، وتوفي سنة ٨٣٦هـ. أخباره في: الضوء اللامع: ١/٣٧-٣٩.
(٦) الدر الكمين: ١/٢١٧.
(٧) هو: محمد بن إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم، بن عبد الرحمن السلمي، المناوي، القاهري، الشافعي (صدر الدين، أبو المعالي)، محدث، ولد بمصر سنة ٧٤٢هـ، ودرس وأفتى، وناب في الحكم، وولي افتاء دار العدل، ثم قضاء الديار المصرية، وسافر مع الناصر فرج إلى البلاد الشامية لقتال تيمورلنك، ومات غريقًا في الفرات سنة ٨٠٣هـ، من آثاره: المناهج والتناقيح في تخريج أحاديث المصابيح. أخباره في: الضوء اللامع للسخاوي: ٦/١٣٥-١٣٦.
(٨) الدر الكمين: ١/٢١٨.
(٩) انظر: الدر الكمين: ١/٢١٨، والضوء اللامع للسخاوي: ٦/٢٤٩-٢٥٠، وشذرات الذهب لابن العماد الحنبلي: ٧/٣٤. والجمال ابن ظهيرة هو: محمد بن عبدالله بن أحمد بن عطية المكي، ويعرف بـ«ابن ظهيرة»، جمال الدين، أبو حامد، فقيه، محدث، حافظ، نحوي، شاعر، ولد بمكة في سنة ٧٥١هـ ونشأ بها، وأفتى وتصدر للتدريس نحو أربعين سنة، ثم ولي قضاء مكة، وتوفي بها في رمضان سنة ٨١٦هـ، من آثاره: قواعد الإعراب لابن هشام، شرح قطع متفرقة من الحاوي الصغير، وغير ذلك، أخباره في: الضوء اللامع: ٨/٩٣-٩٥.
(١٠) انظر: الدر الكمين: ١/٢١٧، والدرر الكامنة: ٢/٤٠٧-٤٠٨. والنشاوري هو: عبدالله بن محمد بن محمد بن سليمان بن موسى النشاوري الأصل، المكي، عفيف الدين أبو محمد، ولد بمكة سنة ٧٠٥هـ. قال ابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ) في كتابه (الدرر الكامنة): «وهذا الشيخ هو أول شيخ أعرف أنني سمعت عليه الحديث، وذلك في شهر رمضان سنة ٧٨٥هـ وأنا مجاور مع بعض أهلي..».

مسلم)، والمجلس الأخير من (الشفاء).

* موسى بن مري بن مياس الغزولي، وسمع منه بعض (الصحيحين)[١].
* الشيخ أبو العباس بن عبد المعطي[٢]، وسمع منه: المجلس الأخير من (الشفاء)[٣].
* فخر الدين القاياتي[٤]، وقد سمع منه المجلس الأخير من (الشفاء)[٥].
* أحمد بن محمد بن الناصح، شهاب الدين، وسمع منه (جامع الترمذي) و(سنن ابن ماجة)[٦].
* شرف الدين محمد بن أبي بكر البكري[٧]، قرأ عليه كتابه: «الاستغناء في الفرق والاستثناء»[٨].
* شمس الدين، الجمال، محمد بن قاسم، أبو عبد الله البنزرتي، وسمع منه (جامع الترمذي) و(سنن ابن ماجة)[٩].
* أحمد بن حسن بن الزين، وسمع منه (الرياض النضرة للمحب الطبري)[١٠].
* شمس الدين بن سكر[١١].

---

(١) الدر الكمين: ١/٢١٨.

(٢) هو: أحمد بن محمد بن أبي العباس أحمد بن محمد بن عبد المعطي بن طراد بن إبراهيم بن سعيد بن سعد بن عبادة الأنصاري، الخزرجي، السعدي، العبادي، ابن أبي الفوارس بن سيف الإسلام، توفي سنة ٨٤٣، أخباره في: الدر الكمين: ١/٥١٢، والضوء اللامع: ٢/٨٧، ومعجم ابن فهد: ٨٣.

(٣) الدر الكمين: ١/٢١٧ .

(٤) هو: محمد بن علي بن محمد بن يعقوب بن محمد القاياتي، شمس الدين، ولد سنة ٧٨٠هـ، ومات في سنة ٨٥٠هـ. أخباره في: الضوء اللامع: ٨/٢١٢-٢١٤.

(٥) الدر الكمين: ١/٢١٧.

(٦) المرجع السابق: ١/٢١٨.

(٧) لم تعرف ولادته، ولا وفاته، ولكنه عاش في القرن الثامن أو التاسع الهجري. انظر: الضوء اللامع: ٧/١٦٩، ومعجم شيرخ بن فهد: ٥٧، وهداية العارفين للبغدادي: ١/٩٨، ومعجم المؤلفين لكحالة: ١٠/٤٨.

(٨) كتاب: «الاستغناء في الفرق والاستثناء» نشر بمعهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، بجامعة أم القرى في مجلدين عام ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، بتحقيق د. سعود الثبيتي، وهو أطروحته للدكتوراه.

(٩) الدر الكمين: ١/٢١٨.

(١٠) الدر الكمين: ١/٢١٨.

(١١) هو: محمد بن علي بن محمد بن علي، ابن سكر. وانظر: الدر الكمين: ١/٢١٨.

◆ وقد أجازه كل من ◆

* العفيف النشاوري، (المتقدم ترجمته هامش ١٠ صفحة ١٠).
* الزين العراقي[(١)].
* البرهان الشامي[(٢)].
* ابن أبي المجد[(٣)].
* البلقيني[(٤)].
* ابن الملقن[(٥)].
* الصدر المناوي، (المتقدم ترجمته ص١٠ هامش ٧).
* البدر بن فرحون[(٦)].
* سليمان السقاء[(٧)].
* مريم الأذرعية[(٨)].

---

(١) هو: عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم الكردي، الرازناني الأصل، المهراني، المصري، الشافعي، ويعرف بـ(العراقي)، زين الدين، أبو الفضل، محدث، حافظ، فقيه، أصولي، أديب، لغوي، ولد سنة ٧٢٥هـ، ورحل إلى دمشق، وحلب، والحجاز، والإسكندرية، وأخذ عن جماعة من العلماء، وتوفي بالقاهرة سنة ٨٠٦هـ، من مؤلفاته: نظم الدرر السنية في السيرة الزكية، ومنظومة في تفسير غريب القرآن، وألفية في علوم الحديث، وغير ذلك. أخباره في: الضوء اللامع: ٤/١٧١-١٧٨، وشذرات الذهب: ٧/٥٥- ٥٧، وطبقات القراء لابن الجوزي: ١/٣٥٢، والرد الوافر لابن ناصر الدين: ٥٧، وحسن المحاضرة للسيوطي: ١/٢٠٤، والبدر الطالع للشوكاني: ١/٣٥٤-٣٥٦.

(٢) هو: إبراهيم بن أحمد بن عبد الواحد، برهان الدين الشامي.

(٣) هو: علي بن محمد بن أبي المجد الدمشقي.

(٤) هو: أحمد بن عبدالله بن محمد بن إبراهيم البلقيني، المكي، الشاذلي، توفي سنة ٨٤٧هـ. أخباره في: الدر الكمين: ١/٤٧٥، والضوء اللامع: ١/٣٦٣.

(٥) هو: عمر بن علي بن أحمد الأنصاري، الشافعي، سراج الدين، أبو حفص بن النحوي، المعروف بـ« ابن الملقن»، ولد في عام ٧٢٣هـ بالقاهرة، من أكابر العلماء بالحديث والفقه وتاريخ الرجال، وله نحو ٣٠٠ مصنف، توفي بالقاهرة عام ٨٠٤هـ. أخباره في: الضوء اللامع: ٦/١٠٠.

(٦) هو: عبدالله بن محمد بن أبي القاسم بن فرحون اليعمري، المالكي، بدر الدين، أبو محمد، ولد في سنة ٦٩٣هـ، فقيه من علماء الحديث، أصله من تونس، ومولده ومنشأه في المدينة، توفي في عام ٧٦٩هـ. أخباره في: الدرر الكامنة: ٢/٣٠٠، وهدية العارفين: ١/٤٦٧.

(٧) هو: سليمان بن أحمد بن عبد العزيز، أبو الربيع السقاء.

(٨) هي: مريم بنت أحمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم الأذرعي، أم محمد، عالمة بالحديث، أصلها من أذرعات بسورية، وولدت بالقاهرة سنة ٧١٩هـ، أخذت عن كثير من الأئمة بمصر والحجاز ودمشق، قال ابن حجر: خَرّجتُ لها (معجمًا) في مجلد، وقرأت عليها الكثير من مسموعاتها، وأشياء كثيرة بالإجازة، وتوفيت بالقاهرة سنة ٨٠٥هـ. أخبارها في: الضوء اللامع: ١٢/١٢٤، وشذرات الذهب: ٧/٥٤.

◆ أعماله ◆

تولى محمد الجمال، أبو المحاسن، العبدري المناصب التالية:

١. سدانة البيت في سنة (٨٢٧هـ)[١]. قال ابن فهد: «وعاد إلى مكة بعد موت قريبه الشيخ أبي راجح محمد بن علي الشيبي في آخر سنة سبع وعشرين وثمانمائة فولي عوضه سدانة الكعبة الشريفة»[٢].

٢. ثم تولى القضاء بمكة في عام (٨٣٠هـ)[٣].

٣. وأضيف إلى توليه القضاء نظر الحرم. قال ابن فهد: «ثم دخل القاهرة في أثناء سنة ثلاثين لدين ارتكبه فولاه الأشرف برسباي قضاء مكة المشرفة عوضًا عن القاضي أبي البقاء بن الضياء، ووصل إلى مكة صحبة الحاج فباشر القضاء من أواخر ذي القعدة فباشره بحسن سيرة، إلا أنه غلب عليه بعض أصحابه ممن لم يسر سيرته فآذوه وغطوا محاسنه فلزق به اللوم، واستمر متوليًا لذلك إلى أن مات»[٤].

والسدانة هي: خدمة البيت وحجابته، وتولي أمره، ورعايته والقيام على إعداده للزائرين، وفتح بابه وإغلاقه[٥].

وقد جرت العادة في بني شيبة أن يكون المفتاح عند أكبرهم سنًا، وذلك من فعله ﷺ فإنه دفعه لعثمان بن أبي طلحة، واسمه: عبدالله بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار العبدري القرشي، وفي زمن الفتح أخذه ﷺ من يد عثمان بن أبي طلحة ورده ﷺ إليه بعد أن خرج من الكعبة[٦]، وقال: «خذوها بني طلحة خالدة تالدة إلى يوم القيامة لا ينزعها منكم إلا ظالم»[٧].

وفي ذلك نزل قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾[٨].

---

(١) إنباء الغمر بأبناء العمر: ٣٢٣/٨.

(٢) الدر الكمين: ٢١٩/١.

(٣) الضوء اللامع: ١٣/٩، وإنباء الغمر: ٣٢٣/٨.

(٤) الدر الكمين: ٢١٩/١.

(٥) منائح الكرم: ٣٨٤/١.

(٦) المرجع السابق: ٣٨٥/١.

(٧) الحديث رواه الطبراني في المعجم الكبير: ١٢٠/١١ رقم ١١٢٣٤، والمعجم الأوسط: ٣٠١/١ رقم ٤٩٢.

(٨) سورة النساء، آية: ٥٨.

قال النيسابوري: «نزلت في عثمان بن أبي طلحة الحجبي من بني عبد الدار، كان سادن الكعبة، فلما دخل النبي ﷺ مكة يوم الفتح أغلق عثمان باب البيت، وصعد السطح، فطلب رسول الله ﷺ المفتاح، فقيل: إنه مع عثمان، فطلب منه، فأبى، وقال: لو علمت أنه رسول الله لم أمنعه المفتاح، فلوى علي بن أبي طالب يده، وأخذ منه المفتاح وفتح الباب، فدخل رسول الله ﷺ البيت وصلى فيه ركعتين، فلما خرج سأله العباس أن يعطيه المفتاح ليجمع له بين السقاية والسدانة، فأنزل الله هذه الآية، فأمر رسول الله ﷺ عليًا أن يرد المفتاح إلى عثمان ويعتذر له، ففعل ذلك عليّ، فقال له عثمان: يا عليّ أكرهت وآذيت ثم جئت ترفق؟ فقال: لقد أنزل الله تعالى في شأنك، وقرأ عليه هذه الآية، فقال عثمان: أشهد أن محمدًا رسول الله وأسلم، فجاء جبريل عليه السلام فقال: ما دام هذا البيت فإن المفتاح والسدانة في أولاد عثمان»[١].

◆ سيرته وأخلاقه ◆

ذكر الحافظ بن حجر العسقلاني في إنباء الغمر، ونقله عنه الشوكاني في البدر الطالع أنه كان محمود السيرة[٢]، وقال السخاوي: «كان فيه خير وسكون»[٣]، وقال ابن فهد: «كان كثير المداراة، شديد الاحتمال، حسن البشر والتودد، لطيف المحاضرة والمحادثة، لا تمل مجالسته، قليل الوقيعة في الناس، كثير الحياء، وعنده كرم وسماحة نفس»[٤].

◆ مؤلفاته ◆

اشتغل الشيبي بالأدب، ومهر فيه، حتى كان لا يعرف إلا به، فانصرفت أوقاته فيه، وكتب منه بخطه الكثير، وجمع فيه عدة تصانيف لطيفة، منها:

١. ذيّل علي حياة الحيوان، سماه: «طيب الحياة مختصر حياة الحيوان مع زوائد»[٥] في مجلدين.
٢. الإشعار في محارف الأشعار، في مجلد واحد[٦].

---

(١) أسباب النزول للنيسابوري: ص ١٠٥-١٠٥.
(٢) إنباء الغمر بأبناء العمر: ٨/٣٢٣.
(٣) الضوء اللامع: ٤/١٨٢.
(٤) إنباء الغمر بأبناء العمر: ٨/٣٢٣.
(٥) الدر الكمين: ١/٢١٨، وهدية العارفين للبغدادي: ١٨٩ .
(٦) الدر الكمين: ١/٢١٨.

٣. بديع الجمال في الأدب، سماه: «بديع الجمال المعلم في ما لا يعلم ويعلم»[١].

٤. غرض الإصابة في شعراء الإصابة، في عشر كراريس[٢].

٥. تمثال الأمثال في مجلدين، صنفه للناصر أحمد بن الأشرف إسماعيل، صاحب اليمن[٣].

٦. معلم الأطراف في شعر الأشراف، في مجلد واحد[٤].

٧. تاريخ مكة[٥].

٨. ظرف الظرفاء في أشعار الخلفاء، في عشر كراريس[٦].

٩. ديوان شعره[٧].

١٠. إزالة الشكوك في شعر الملوك، في ثماني كراريس[٨].

١١. شرح الحاوي الصغير للقزويني، وسماه «تعليق الحاوي»[٩].

١٢. نور الأعيان في شعر العميان، في عشر كراريس[١٠].

١٣. قلب القلب، في ثلاثة مجلدات، شحنة من الفوائد، وأودعه درر الفرائد، دل على سعة اطلاعه[١١].

١٤. علاقة العنوان في شعر النسوان، في مجلد واحد[١٢].

١٥. الواحة البعاثة في أوصاف الشعراء الثلاثة: (البحتري، وأبي تمام، والمتنبي) في مجلد واحد[١٣].

---

(١) الدر الكمين: ١/٢١٨، والأعلام للزركلي: ٦/٢٨٧.

(٢) الدر الكمين: ١/٢١٨.

(٣) الدر الكمين: ١/٢١٨، وهدية العارفين للبغدادي: ١٨٩.

(٤) الدر الكمين: ١/٢١٨.

(٥) هدية العارفين للبغدادي: ١٨٩.

(٦) الدر الكمين: ١/٢١٨.

(٧) هدية العارفين للبغدادي: ١٨٩.

(٨) الدر الكمين: ١/٢١٨.

(٩) إنباء الغمر بأبناء العمر: ٨/٣٢٣.

(١٠) الدر الكمين: ١/٢١٨.

(١١) الدر الكمين: ١/٢١٨، ومعجم المؤلفين لكحالة: ١١/٤٥.

(١٢) الدر الكمين: ١/٢١٨.

(١٣) الدر الكمين: ١/٢١٨.

١٦. اللطف في القضاء، وقد صنفه في آخر حياته[١].
١٧. إيقاظ المنتبه في من قال في شعره قوة تسمى به، في ثماني كراريس[٢].
١٨. كتاب في ما لا يستحيل بالانعكاس في ثلاثة مجلدات[٣].
١٩. طيب الحياة في أحكام المياه، في عشر كراريس[٤].
٢٠. الشرف الأعلى في ذكر قبور المعلاة[٥]، وهو الكتاب الذي نحن بصدد التقديم له.
٢١. النجح والظفر في أحكام السفر، في مجلد واحد[٦].
٢٢. سحب الذيل على أحكام الليل، في ثماني كراريس[٧].
٢٣. تاريخ حوادث زمانه، ذكر فيه الحوادث منذ ولادته وحتى وفاته[٨].
٢٤. نور الإنسان في محاسن الإنسان، في ثماني كراريس[٩].
٢٥. فواصل الجاه في أحكام القضاة، في ثماني كراريس[١٠].
٢٦. قلائد النحر في أوصاف البحر، في سبع كراريس[١١].
٢٧. لمع البرق في السير إلى بلاد الشرق[١٢].
٢٨. زوال الحين في أحكام الدين، في عشر كراريس[١٣].

قال ابن فهد: «وغالب هذه الكتب لم يكمل، وذهب غالبها، كأنها ما كانت، فلا قوة إلا بالله»[١٤].

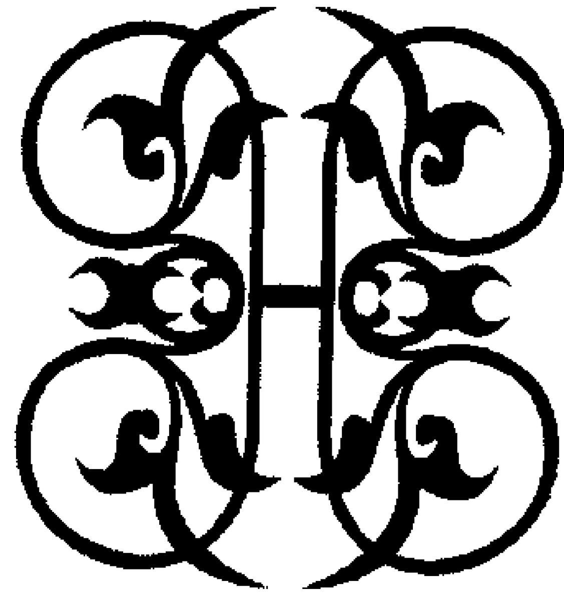
---

(١) الدر الكمين: ١/٢١٨، والبدر الطالع: ٢/٢١٤.
(٢) الدر الكمين: ١/٢١٨.
(٣) هدية العارفين للبغدادي: ١٨٩.
(٤) الدر الكمين: ١/٢١٨.
(٥) هدية العارفين للبغدادي: ١٨٩.
(٦) الدر الكمين: ١/٢١٩.
(٧) المرجع السابق.
(٨) شذرات الذهب لابن العماد: ٩/٣٢٥.
(٩) الدر الكمين: ١/٢١٩.
(١٠) المرجع السابق.
(١١) الدر الكمين: ١/٢١٩.
(١٢) المرجع السابق.
(١٣) المرجع السابق.
(١٤) المرجع السابق.

◆ وفاته ◆

مات الشيبي في النصف الأول من ليلة الجمعة ثامن عشر ربيع الأول[1] سنة (٨٣٧هـ) سبع وثلاثين وثمانمائة[2]، عن نحو من سبعين سنة[3]، وصلي عليه في الساباط الذي خلف المقام، ونادى المؤذن بالصلاة عليه فوق زمزم، ودفن بالمعلاة[4]، وكانت جنازته حافلة[5].

وقد عده السخاوي ممن توفي في سنة (٨٢٧هـ)، حيث قال: «مات في جمادى الأولى سنة سبع وعشرين وثمانمائة، وقد بلغ الستين»[6].



(١) جاء في الشذرات أنه توفي في ربيع الآخر.

(٢) البدر الطالع: ٢/٢١٤.

(٣) إنباء الغمر بأبناء العمر: ٨/٣٢٣.

(٤) الضوء اللامع: ٤/١٨٢.

(٥) الدرر الكمين: ١/٢٢٠.

(٦) الضوء اللامع: ٤/١٨٢.

دراسة
كتاب الشرف الأعلى في ذكر قبور المعلاة

إن ما تطرق إليه الشيبي في هذا الكتاب يعد فريدًا، فلم يسبقه أحد في التأليف على هذا المنوال، كما لم يقلده أحد بعده، فهو بذلك يعدكتابًا منفردًا في بابه، وطريفًا في فنه، واشتمل على فوائد جمة، لاسيما وأن أي توثيق لتاريخ وفاة أي ممن شمله الكتاب وخصه بالترجمة لا لبس فيه، فهو من واقع تاريخ وفاته الفعلية المدونة على شاهد قبره الذي نقل عنه.

واختياره لمقبرة المعلاة، إنما كان لكونها أقدم المقابر بمكة، وأشهرها، وهي أفضل مقابر المسلمين بعد البقيع بالمدينة.

فقد روى الفاكهي[1] بإسناده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إن النبي ﷺ قال: «نعم المقبرة هذه، قال ابن جريج يعني: مقبرة مكة»[2].

وإني أثناء قراءتي لكتاب «الدر الكمين بذيل العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين» لعمر بن فهد المتوفى سنة (٨٨٥هـ)[3] تتبعت المواضع التي ذكر المؤلف أنه وقف فيها على شواهد قبور مقبرة المعلاة، وقد رأيت إثباتها، وهم:

* محمد بن أبي العباس بن محمد بن عبد الله الهاشمي؛ قال ابن فهد: «هكذا رأيت مكتوبًا في حجر بالكوفي بقبره بالمعلاة»[4].
* محمد بن حمزة العباسي؛ قال ابن فهد: «... مات في يوم السبت تاسع شوال سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة؛ هكذا رأيت ذلك في حجر تربة ابن سلامة بالمعلاة»[5].
* محمد بن محمد بن محمد بن حسين بن علي بن أحمد بن عطية بن ظهيرة القرشي المكي الشافعي؛ قال ابن فهد: «وقد كتب في حجر قبره: توفي في ليلة الجمعة، وهو غلط متعمد»[6].

---

(١) أخبار مكة: ٤/٥٠.

(٢) رواه عبد الرزاق في مصنفه: ٣/٥٧٩، والإمام أحمد في مسنده: ١/٣٦٧، والإمام البخاري في التاريخ: ١/٢٨٤، والأزرقي في أخبار مكة: ٢/٢٠٦، والطبراني في المعجم الكبير: ١/١٣٧، كلهم من طريق ابن جريج به.

(٣) حققه الأستاذ الدكتور عبد الملك بن عبدالله بن دهيش، ونشره في ثلاثة مجلدات، عام ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

(٤) الدر الكمين: ١/١٠٠ ترجمة رقم ٦٤.

(٥) المرجع السابق: ١/١٣٧ ترجمة رقم ٩٤.

(٦) المرجع السابق: ١/٣٤١ ترجمة رقم ٢٥٩.

* محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن علي بن أحمد بن محمود بن أحمد بن حجر المصري؛ قال ابن فهد: «مات في خامس عشر شهر رمضان سنة خمس وثمانين وسبعمائة بمكة، ودفن بالمعلاة؛ هكذا رأيت ذلك مكتوبًا في حجر قبره بالمعلاة في حائط تربة سفيان بن عيينة رضي الله عنه»[1].
* أحمد بن أحمد بن نصر المعروف بالدموهي؛ قال ابن فهد: «هكذا وجدت في حجر مكتوب بالكوفي بمقبرة المعلاة»[2].
* أحمد بن جعفر بن فضل القفطي؛ قال ابن فهد: «... مات في العشر الأخيرة من المحرم سنة ست وسبعين وستمائة، هكذا رأيت ذلك بحجر قبره بالمعلاة بتربتنا»[3].
* أحمد بن الحسين بن حسن بن سند الجزري؛ قال ابن فهد: «مات ليلة الأحد حادي عشر شوال سنة ثلاث وستين وستمائة، هكذا رأيت بحجر قبره بالمعلاة»[4].
* الحارث بن عبدالله بن إبراهيم؛ قال ابن فهد: «هكذا رأيت مكتوبًا بالكوفي بحجر قبره بالمعلاة، ولم أظفر فيه بتاريخ»[5].
* حسين بن حسين بن أبى البنا محمود بن الكويك؛ قال ابن فهد: «مات يوم الثلاثاء سابع عشر شعبان سنة أربع وستين وسبعمائة بمغارة نبط، وحمل إلى مكة، ودفن بها يوم الخامس والعشرين منه، هكذا رأيت مكتوبًا بحجر قبره بالمعلاة»[6].
* خليفة بن بو سعد بن ميمون الجعفري؛ قال ابن فهد: «مات في اليوم التاسع من القعدة سنة تسع وأربعين وسبعمائة، هكذا رأيت في حجر قبره بالمعلاة»[7].
* سعد بن عبد الله بن علي بن عرفة المكي؛ قال ابن فهد: «مات في ذي القعدة سنة خمس وستين وسبعمائة بمكة ودفن بالمعلاة، ونقلت ذلك من حجر قبره بالمعلاة»[8].

---

(١) المرجع السابق: ١/٣٩٦ ترجمة رقم ٢٨٢.
(٢) المرجع السابق: ١/٤٣٥ ترجمة رقم ٣٥٦.
(٣) المرجع السابق: ١/٤٤١ ترجمة رقم ٣٦٣.
(٤) الدر الكمين: ١/٤٤٥ ترجمة رقم ٣٧١.
(٥) المرجع السابق: ١/٦٧٦ ترجمة رقم ٥٩٧.
(٦) المرجع السابق: ١/٧٠٣ ترجمة رقم ٦٤٠.
(٧) المرجع السابق: ٢/٧٢٠ ترجمة رقم ٦٦٠.
(٨) المرجع السابق: ٢/٧٤٨ ترجمة رقم ٦٨٩.

* سليمان بن المنصور بن داود بن عيسى بن فليتة؛ قال ابن فهد: «لعل المنصور اسمه أحمد، فإنه كان لداود بن فليتة ولد اسمه أحمد مكتوب على حجر قبره بالمعلاة»[1].
* عبد الرزاق الجزولي؛ قال ابن فهد: «مات في المحرم سنة خمس وثمانين وسبعمائة، هكذا وجدت وفاته في حجر قبره بالمعلاة بقرب سفيان بن عيينة»[2].
* قاسم بن أبي محمد الشافعي؛ قال ابن فهد: «هكذا وجد في حجر مكتوب بالكوفي بمقبرة المعلاة»[3].
* أبو بكر بن عشائر؛ قال ابن فهد: «مات بين الحرمين يوم الإثنين خامس المحرم سنة أربع وتسعين وخمسمائة، هكذا رأيت ذلك مكتوبًا بحجر بالمعلاة»[4].
* أبو بكر بن محمد بن عبد الله بن فتوح بن محمد المكناسي؛ قال ابن فهد: «مات ليلة السبت رابع شعبان سنة ثمان وخمسمائة، هكذا رأيت بحجر قبره بالمعلاة»[5].
* أبو القاسم بن محمد بن عمر بن إبراهيم بن علي بن محمد؛ قال ابن فهد: «مات يوم الخميس عاشر القعدة سنة أربع وأربعين وسبعمائة، هكذا رأيت بحجر قبره بالمعلاة»[6].
* علاء الدين بن عرب القرشي المخزومي؛ قال ابن فهد: «مات في ليلة الأحد رابع عشر الحجة بعد نفره من منى يوم النفر الثاني بين التحللين سنة ثمان وسبعمائة، هكذا رأيت ذلك بحجر قبره بالمعلاة بحائط سفيان بن عيينة رضي الله عنه»[7].
* مريم بنت الأمير فليتة بن القاسم بن أبي هاشم؛ قال ابن فهد: «ماتت ليلة الثلاثاء سابع عشر شوال سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة، هكذا رأيت مكتوبًا بحجر قبرها بالمعلاة»[8].
* هندة بنت علي بن يعلى بن تميم؛ قال ابن فهد: «ماتت في ليلة السبت ثالث ربيع الأول

---

(١) المرجع السابق: ٢/٧٦١ ترجمة رقم ٧١٠.
(٢) الدر الكمين: ٢/٨٤٦ ترجمة رقم ٧٩٣.
(٣) المرجع السابق: ٢/١١٧٤ ترجمة رقم ١١٧٠.
(٤) المرجع السابق: ٢/١٢٧٥ ترجمة رقم ١٣٥٥.
(٥) المرجع السابق: ٢/١٢٨٩ ترجمة رقم ١٣٤٥.
(٦) المرجع السابق: ٢/١٣٣٧ ترجمة رقم ١٤١٠.
(٧) المرجع السابق: ٢/١٣٤٤ ترجمة رقم ١٤٢٢.
(٨) الدر الكمين: ٣/١٥٤٤ ترجمة رقم ١٦٣٤.

سنة خمس عشرة وستمائة، هكذا نقلت من حجر قبرها بالمعلاة»[1].

وهذا مما يستدرك على المؤلف، ويثبت أنه - رحمه الله - لم يقم بحصر جميع الشواهد، وإنما وافته المنية قبل إتمام الكتاب.

◆ حب الموت عند المسلمين ◆

لقد أحب المؤمن الحياة، لأنه يقوم فيها بحق الله في الأرض، وأحب الموت لأنه يعجل به إلى لقاء ربه، وفي الحديث الشريف: «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه»[2].

وقد خُيِّر رسول الله ﷺ بين لقاء ربه، والبقاء في الدنيا قال: «أختار الرفيق الأعلى»[3].

وأصابت علي بن أبي طالب رضي الله عنه ضربة عبد الرحمن بن ملجم فقال: «فزت ورب الكعبة»[4].

وحينما احتُضِرَ بلال قال: غدًا نلقى الأحِبَّة محمدًا وحزبه، قال: فصرخت امرأتُه: واويلاه! فقال: وافرحاه[5].

وحينما أخذ المشركون في مكة خبيب بن عدي[6] ليصلبوه، كان نشيده الذي يترنم به على خشبة الصلب:

ولستُ أُبالي حينَ أُقتَل مُسلمًا ... على أيِّ شِقّ كان لله مَصْرَعي
وذلك في ذاتِ الإلهِ وإن يشأْ ... يُبارِكْ على أوصال شِلْو ممُزَّع[7]

---

(١) المرجع السابق: ١٥٦٢/٣ ترجمة رقم ١٦٦١.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: ح (٢٠٦٥) و (٢٠٦٦) و (٢٠٦٧).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المرض: ١٩، وكتاب فضائل الصحابة: ٢٨، وأحمد في مسنده: ٤٥/٦، ٤٨، ٧٤.

(٤) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق: ٥٦١/٤٢.

(٥) سير أعلام النبلاء للذهبي: ٣٥٩/١.

(٦) خبيب بن عدي بن عامر بن مَجْدَعَة بن جَحْجَبا الأنصاري الشهيد، شهد أحدًا، وكان فيما بعثه النبي ﷺ مع بني لحيان، فلما صاروا بالرجيع، غدروا بهم واستصرخوا عليهم، وقتلوا فيهم، وأسروه هو وزيد بن الدَّثِنَة، فباعوهما بمكة، فقتلوهما بمن قتل النبي ﷺ من قومهم، وصلبوهما بالتنعيم. أخباره في: نسب قريش: ٢٠٤، تاريخ خليفة: ٧٤، وحلية الأولياء: ١١٢/١، والاستيعاب: ١٨٣/٣، وأسد الغابة: ١٢٠/٢، والإصابة: ٨٠/٣، وسير أعلام النبلاء: ٢٤٦/١.

(٧) فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني، كتاب الجهاد، باب هل يستأسر الرجل؟ ومن لم يستأسر، ومن ركع ركعتين عند القتل: ١٦٦/٦.

وكان سيف الله «خالد بن الوليد» رضي الله عنه حينما يرسل إلى قائد من قواد الفرس أو الروم يختم رسالته بعد الدعوة إلى السلام والإسلام بقوله: «وإلا رميتكم بقوم يحبون الموت، كما تحبون الحياة[١]...».

◆ فضل الموت بمكة ◆

بوب مؤلفو تاريخ مكة في كتبهم عن فضل الموت بمكة، أو في طريقها، أو في الحج، أو في العمرة.

روى الفاكهي بسنده عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من مات بمكة أو في طريق مكة بُعث من الآمنين»[٢].

◆ فضل مقبرة المعلاة ◆

قال الفاسي: «مقبرة المعلاة: مشهورة، كثيرة الفضل والبركة، لما حوته من سادات الصحابة والتابعين، وكبار العلماء والصالحين، ولما جاء فيها من الفضل عن النبي ﷺ، حيث قال: «نعم المقبرة هذه مقبرة أهل مكة»[٣].

وتوجد بمكة المكرمة مقابر عديدة خلاف مقبرة المعلاة، فمن المقابر الحديثة: (مقبرة العدل)؛ قال الكردي: «هيس بأعلى مكة في طريق منى، وهي حدثت قريبًا في عهد الحكومة السعودية من سنة (١٣٤٥هـ) تقريبًا»[٤].

◆ ومن المقابر القديمة التي أشار إليها المؤرخون ◆

* مقبرة المعلاة، وهي موضوع كتابنا، وتسمى مقبرة المُطَيَّبِين[٥]، وهي أكبر مقابر مكة،

---

(١) أخرجه الطبري في تاريخ الأمم والملوك: ٢/٣٠٨-٣٠٩، وسير أعلام النبلاء: ١/٣٧٤، والمنتظم: ٤/١٠١، ١٠٦.

(٢) أخبار مكة للفاكهي: ١/٣٧٨

(٣) العقد الثمين: ١/١٠٢.

(٤) التاريخ القويم: ٦/١٦٩.

(٥) أورد الكردي في التاريخ القويم: ٦/١٦٧-١٦٨ سبب تسميتها بالمطيبين نقلًا عن ابن إسحاق أن قصيًا لما هَلَكَ قام بنوه بعده بأمر الرئاسة واقتسموا مآثره، ثم إن بني عبدمناف بن قصي وهم عبدشمس ونوفل وهاشم والمطلب أجمعوا أن يأخذوا ما في أيدي بني عبد الدار بن قصي مما كان قصي قد جعله إلى بني عبد الدار من الحجابة واللواء والسقاية والرفادة ورأوا أنهم أحق بذلك منهم لشرفهم عليهم فافترقت قريش فرقتين، فكانت طائفة منهم مع بني عبد مناف على رأيهم، وطائفة مع بني عبد الدار يرون ألا ينزع منهم ما جعله قصي إليهم، ثم أخرج بعض نساء عبد مناف جفنة مملوءة طيبًا فغمس القوم أيديهم فيها وتعاقدوا وتعاهدوا أن لايتخاذلوا فسموا المطيبين».

وفيها الدفن اليوم.

* مقبرة المهاجرين. قال الفاكهي: «وهى التي عند الحَصْحاص»[1].

قال د/ عبد الملك بن دهيش: «هذه المقبرة لا زالت قائمة، وتقع على يمين الهابط من ريع الكُحْل يريد الزاهر، بأصل الجبل، وتبعد عن أول جسر ريع الكُحْل قرابة المائتي متر، وقد شُقَّ طريق في هذه المقبرة بعرض يقارب الستة أمتار، ليصعد إلى العمائر الحديثة التي أقيمت في سفح الجبل، فوق المقبرة كأنها مقبرتان، وقد سُوّرتا بسور قدر قامة الإنسان، ووضع لها بابان من حديد مشبّكان، ولا يُدفن فيها اليوم»[2].

* مقبرة الخرامية. قال الكردي: «وهي واقعة بمحلة المعابدة أمام مدخل شعب أذاخر عند القصر الملكي، وهي مقبرة صغيرة مثلثة الشكل على يمين الصاعد إلى منى من الشارع العام»[3].
* المقبرة العليا، وتسمى مقبرة «حائط خرمان» وهى في ثنية أذاخر[4].
* مقبرة الحجون «المقبرة الأولى»؛ قال الفاكهي: «كان أهل مكة يدفنون موتاهم في جنبتي الوادي يمينًا وشمالًا في الجاهلية وصدر الإسلام»[5].
* مقبرة الأحلاف بأسفل مكة، هى «مقبرة الشُبَيْكة»[6]. قال د/عبد الملك بن دهيش: «وهذه المقبرة لا زالت قائمة إلى اليوم، ولكن لا يدفن فيها، إنما الدفن في مقبرة المعلاة، ومقبرة الشبيكة عليها سور حديث، بني في عهد الملك سعود بن عبد العزيز، وتقع على يسار الخارج من مكة على ثنية كُدي، ويمين الخارج من مكة على جبل الكعبة على ثنية الحَزَنة في جبل عمر، وهي مشهورة معروفة»[7].
* قبور الشهداء؛ قال الفاكهي: «إنها بالحَصْحاص من وراء المربع»[8].

---

(١) أخبار مكة للفاكهي: ٤/٦٢.
(٢) انظر تعليقه على أخبار مكة: ٤/٦٢.
(٣) التاريخ القويم: ٦/١٦٩.
(٤) أخبار مكة للفاكهي: ٤/٥٤.
(٥) المرجع السابق: ٤/٥٩.
(٦) شفاء الغرام للفاسي: ١/٢٨٧.
(٧) انظر تعليقه على أخبار مكة للفاكهي: ٤/٦٠.
(٨) أخبار مكة للفاكهي: ٤/٢٢١.

* مقبرة الشيخ محمود؛ قال الكردي: «مقبرة الشيخ محمود بآخر ربع الرسام، وأول جرول للخارج من مكة. والشيخ محمود المذكور هو ابن إبراهيم بن أدهم»[١].
* مقبرة الششة؛ قال الكردي: «المقبرة التي بين قهوة الششة، والشبيبة قبل السد الجديد بالمعابدة»[٢].
* مقبرة ربع المسكين في الملاوي[٣].
* مقبرة مني[٤]. وهي موجودة إلى الآن على يمين الصاعد إلى منى، قبل أن يصل إلى ما يقابل شعب البيعة.

◆ من مات من الأنبياء رضوان الله عليهم بمكة ◆

* قال الفاسي: إن قبر آدم عليه السلام في غار، يقال له: غار الكنز، وأضاف أن قبره بمسجد الخيف أو عنده[٥].

وعن الفاسي أيضًا أن قبر حواء عليها السلام في جبل أبي قبيس، وكذا قبر شيث عليه السلام في جبل أبي قبيس كذلك[٦].

وروى الأزرقي عن ابن إسحاق أن قبر إسماعيل عليه السلام، وقبر أمه هاجر في الحجر[٧].

◆ من مات من زوجات وأولاد وقرابة وصحابة رسول الله ﷺ بمكة ◆

* ماتت أم المؤمنين السيدة خديجة بنت خويلد رضي الله عنها قبل سنة واحدة من الهجرة، ودفنت بمقبرة المعلاة[٨].

قال الصباغ المكي: إن قبرها عند طرف الشعب بالقرب من قبر الفضيل بن عياض، وقد وجد عليه حجرًا مكتوبًا سنة سبعمائة وتسعة وعشرين أن هذا قبر السيدة خديجة رضي

(١) التاريخ القويم: ٦/١٦٨.
(٢) المرجع السابق.
(٣) المرجع السابق: ٦/١٧٠.
(٤) أخبار مكة للفاكهي: ٤/٢٢١.
(٥) العقد الثمين: ١/٥١٩ – ٥٢٠.
(٦) المرجع السابق: ١/٥٢٠.
(٧) أخبار مكة للأزرقي: ١/٣١٣.
(٨) السيرة الحلبية: ١/٣٧٧، والتاريخ القويم: ٦/١٧١.

الله عنها[1].

* قال الأزرقي: توفي عبد المطلب - يقصد جد النبي ﷺ - والنبي ﷺ ابن ثماني سنين، وكان خلف جنازته يبكي حتى دفن بالحجون[2].

* ويقال: إن قبر السيدة آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة أم رسول الله ﷺ بالحجون بمعلاة مكة.

وأورد الفاكهي عن ابن جريج عن عثمان بن صفوان: أنها دُفنْت في شعب أبي دُبْ[3].

وقيل: إنها دفنت بالأبواء قريبة من أعمال الفرع[4]، وقيل بمقبرة مكة بالحجون، وجمع بعض العلماء بأنها دفنت أولًا بالأبواء، ثم نقلت ودفنت بالحجون بمعلاة مكة[5].

قال الأزرقي: «حدثني جدي عن عبد المجيد بن أبي رواد عن ابن جريج أنه حدث عن عبد الله بن مسعود أنه قال: خرج النبي ﷺ يومًا وخرجنا معه حتى انتهينا إلى المقابر فأمرنا فجلسنا، ثم تخطى القبور حتى انتهى إلى قبر منها فجلس إليه فناجاه طويلًا، ثم ارتفع صوته ينتحب باكيًا فبكينا لبكاء رسول الله ﷺ ثم إن رسول الله ﷺ أقبل إلينا فتلقاه عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: ما لذي أبكاك يا رسول الله؟ فقد أبكانا وأفزعنا، فأخذ بيد عمر ثم أومأ إلينا فأتيناه، فقال: فزعكم بكائي؟ فقلنا: نعم يا رسول الله، فقال ذلك مرتين أو ثلاثًا، ثم قال: إن القبر الذي رأيتموني أناجيه قبر آمنة بنت وهب، وإني استأذنت ربي في زيارتها فأذن لي، ثم استأذنته في الاستغفار لها فلم يأذن لي فأنزل الله عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ﴾... الآية[6]؛ ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ﴾... الآية[7]؛ قال النبي ﷺ: فأخذني ما يأخذ الولد للوالد من الرقة، فذلك الذي أبكاني، إلا أني قد كنت قد نهيتكم عن زيارة القبور، وأكل لحوم الأضاحي فوق ثلاث، وعن نبيذ الأوعية، فزوروا

---

(١) تحصيل المرام: ل ١٥٨/ب.

(٢) أخبار مكة للأزرقي: ١/٣١٥.

(٣) أخبار مكة: ٤/٥٣، ورواه عبدالرزاق في مصنفه: ٣/٥٧٣، وقال د/ عبد الملك بن دهيش: «شعب أبي دُبّ، هو الشعب المسمى اليوم (دَحْلَة الجنّ)» انظر: تعليقه على الفاكهي ٤/٥٤.

(٤) وهو الأشهر.

(٥) تحصيل المرام: ل ١٥٩/أ.

(٦) سورة التوبة: آية ١١٣.

(٧) سورة التوبة: آية ١١٤.

القبور، فإنها تزهد في الدنيا وتذكر الآخرة، وكلوا لحوم الأضاحي، وادخروا ما شئتم فإنما نهيت إذ الخير قليل، فوسعه الله على الناس، ألا وإن وعاء لا يحرم شيئًا وكل مسكر حرام»[1].

* السيدة ميمونة بنت الحارث الهلالية زوج النبي ﷺ دفنت بسرف[2].
* ومات أيضًا أبو طالب عم رسول الله ﷺ[3] في نفس السنة التي توفيت فيها السيدة خديجة أي قبل سنة واحدة من الهجرة.
* وأولاد النبي ﷺ الذكور توفوا جميعهم بمكة رضعًا، ودفنوا بها[4].
* أبو واقد البكري[5].
* وعبد الله بن عمر رضي الله عنهما، مات بمكة، سنة أربع وسبعين، في دار عبد الله بن خالد بن أسيد، وكان صديقًا له، فلما حضرته الوفاة أوصاه أن لا يصلي عليه الحجاج[6].
* أبو قحافة رضي الله عنه[7].
* سفيان بن عيينة[8].
* وعتاب بن أسيد رضي الله عنه[9].
* آل سفيان بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر مخزوم[10].
* آل عبد الله بن خالد بن أسيد بن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس[11].
* عبد الله بن السائب رضي الله عنه[12].

---

(١) الأزرقي: ٢/٢١٣.
(٢) أخبار مكة للأزرقي ٢/٢١٠-٢١١.
(٣) السيرة الحلبية: ١/٣٧٧، ومنائح الكرم: ١/٢٤٧.
(٤) منائح الكرم: ١/٢٤٦.
(٥) الفاكهي: ٤/٦٥، والأزرقي ٢/٢١٢.
(٦) الأزرقي: ٢/٢١٠، وموضع دفنه مع الأشهر، بطرف مقر أمانة العاصمة حاليًا.
(٧) تحصيل المرام: ١٦١/أ.
(٨) الدر الكمين: ١/٣٩٦.
(٩) الأزرقي: ٢/٢١٠، ومنائح الكرم: ١/٢٤٦.
(١٠) الفاكهي: ٤/٥٥.
(١١) الأزرقي: ٢/٢١١.
(١٢) تحصيل المرام: ل١٦٠/ب، ومنائح الكرم: ١/٢٤٥.

* عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما(١).
* شيبة بن عثمان الحجبي رضي الله عنه(٢).
* المسور بن مخرمة رضي الله عنه(٣).
* العباس بن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما(٤).
* طاوس توفي وهو ابن بضع وسبعين سنة حين جاء إلى مكة حاجًا قبل يوم التروية، وصلى عليه هشام بن عبد الملك(٥).
* العباس بن مرداس السلمي رضي الله عنه (حامل راية المسلمين يوم فتح مكة)(٦).
* عمير بن قتادة الليثي رضي الله عنه(٧).
* عطاء بن أبي رباح(٨).
* زينب بنت مظعون بنت وعيب بن وهب بن حذافة القرشية الجمحية، أخت عثمان بن مظعون رضي الله عنهما، ماتت مسلمة بمكة قبل الهجرة(٩).
* عبد الله بن شهاب الزهري القرشي، جد ابن شهاب الزهري(١٠).
* عبد الله بن عمرو بن العاص السهمي القرشي(١١).
* عبد الله بن عامر بن كريز القرشي العبشمي(١٢).
* جندع بن ضمرة بن أبي العاص(١٣).

---

(١) الأزرقي: ٢/٢١١، ومنائح الكرم: ١/٢٤٥.
(٢) تحصيل المرام: ل ١٦٠/ب.
(٣) المرجع السابق، ومنائح الكرم: ١/٢٤٧.
(٤) التاريخ القويم :٦/١٦٨.
(٥) تحصيل المرام: ل ١٦٠/ب.
(٦) التاريخ القويم: ٦/١٦٨.
(٧) تحصيل المرام: ل ١٦٠/ب.
(٨) المرجع السابق: ١٦١/أ.
(٩) أسد الغابة: ٦/١٣٨، ومنائح الكرم: ١/٢٤٧.
(١٠) منائح الكرم: ١/٢٤٥.
(١١) أسد الغابة: ٣/٢٤٤.
(١٢) منائح الكرم: ١/٢٤٥.
(١٣) الأزرقي: ٢/٢١٢-٢١٣.

* أبو سبرة بن أبي رهم القرشي العامري[(١)].
* عبد الله بن ياسر العنبسي، أخو عمار بن ياسر، وهو مع أبيه وأخيه وأمه من السابقين إلى الإسلام[(٢)].
* ياسر بن عامر بن مالك العنبسي، والد عمار، وعبد الله المتقدم، وزوج سمية، وهو ممن عذبوا في الإسلام في سبيل الله[(٣)].
* عبد الله بن قيس بن سليم، أبو موسى الأشعري رضي الله عنه، أحد الحكمين في الخلاف بين عليّ رضي الله عنه ومعاوية بن أبي سفيان، مات بمكة في خلافة معاوية رضي الله عنه[(٤)].

◆ بعض من مات من العلماء والشيوخ رحمهم الله بمكة ◆

* أبو عبيد القاسم بن سلام. مات بمكة ودفن بالمعلاة[(٥)].
* الفضيل بن عياض، وقد ذكره المؤلف[(٦)]. قال محمد بن علي الطبري: «توفي بمكة، ودفن بالمعلاة بحوطة معروفة بقرب قبر أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها، وهي حوطة تحتوي على قبور صحابة وتابعين وصلحاء»[(٧)].
* تقي الدين السبكي[(٨)].
* فاطمة النيسابورية، قال عنها ثوبان بن إبراهيم، ذو النون المصري: إنها أستاذته؛ توفيت بمكة سنة ٢٢٣، وقبرت بها رحمها الله[(٩)].

فيحق للعبد أن يتمنى الموت والدفن بجوار قوم صالحين، حتى لا يتأذى بجار السوء، لما في الأثر: «ادفنوا موتاكم وسط قوم صالحين، فإن الميت يتأذى بجار السوء، كما يتأذى الحي بجار السوء»[(١٠)].

---

(١) أسد الغابة: ٥/١٣٥.

(٢) منائح الكرم: ١/٢٤٦.

(٣) المرجع السابق: ١/٢٤٧.

(٤) أسد الغابة: ٣/٢٦٤.

(٥) تحصيل المرام: ل١٦١/أ.

(٦) انظر: ص ٧٥.

(٧) إتحاف فضلاء الزمن بتاريخ ولاية بني الحسن: ١/٧٣.

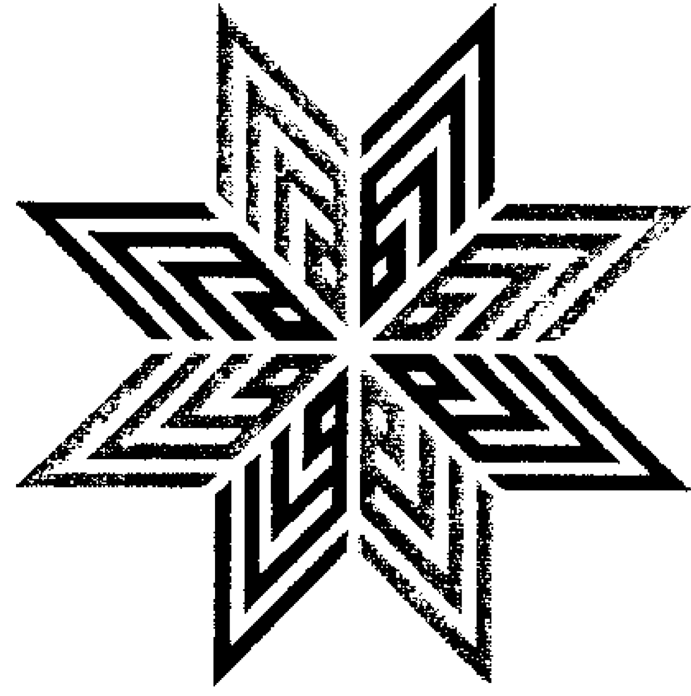
(٨) تحصيل المرام: ل١٦١/أ.

(٩) إتحاف فضلاء الزمن بتاريخ ولاية بني الحسن: ١/٨٠.

(١٠) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق: ٣٧/١٩٧، ٥٨/٣٧٨. وانظر كشف الخفاء: ١/٧٤.

جاء في الطبقات: «لما مات أحمد بن حنبل رأى رجل في منامه كأن على كل قبر قنديلًا، فقال: ما هذا؟ قيل له: أما علمت أنه نور لأهل القبور قبورهم بنزول هذا الرجل بين أظهرهم؟ وقد كان فيهم من يعذب فرحم»[(١)].

ولذا نرى أن الخطيب البغدادي[(٢)]، حينما حضر للحج شرب من ماء زمزم ثلاث شربات، وسأل الله ثلاث حاجات أخذًا بالحديث: «ماء زمزم لما شرب له[(٣)]» فالحاجة الأولى: أن يحدث بتاريخ بغداد بها، والثانية: أن يُملي الحديث بجامع المنصور، والثالثة: أن يُدفن عند بشر الحافي[(٤)]، فقضى الله له ذلك[(٥)].



(١) طبقات الحنابلة للقاضي أبو يعلى الفراء البغدادي الحنبلي: ١/ ٤٢.

(٢) الخطيب هو: أبو بكر، أحمد بن علي بن ثابت، الخطيب البغدادي، الحافظ الناقد، صاحب التصانيف، ولد سنة ٣٩٢هـ، له: تاريخ مدينة السلام، أو تاريخ بغداد، والجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، والكفاية، والسابق واللاحق، والأسماء المبهمة في الأنباء المحكمة، وتلخيص المتشابه، وغير ذلك كثير، توفي سنة ٤٦٣هـ. انظر ترجمته في: تاريخ مدينة دمشق: ٧/ ٢٢-٣٠، والمنتظم ٨/ ٢٦٥-٢٧٠، ومعجم الأدباء: ٤/ ١٣-٤٥، وطبقات علماء الحديث: ٣/ ٣٣٢-٣٤١، وسير أعلام النبلاء: ١٨/ ٢٧٠-٢٩٦.

(٣) أخرجه ابن ماجة في سننه، كتاب المناسك، باب الشرب من زمزم: ٢/ ١٠١٨ حديث رقم (٣٠٦٢).

(٤) هو: بشر بن الحارث بن علي بن عبدالرحمن المروزي، أبو نصر، المعروف بـ«الحافي» من كبار الصالحين، ولد سنة ١٥٠هـ، له في الزهد والورع أخبار، وهو من ثقات رجال الحديث، من أهل مرو، سكن بغداد، وتوفي بها سنة ٢٢٧هـ. أخباره في: وفيات الأعيان: ١/ ٩٠، وتاريخ بغداد: ٧/ ٦٧، وتاريخ دمشق: ٣/ ٢٢٨، وصفوة الصفوة: ٣/ ١٨٣.

(٥) تاريخ دمشق لابن عساكر: ١/ ٣٩٩، ومعجم الأدباء: ٤/ ١٦، والتذكرة: ٣/ ١١٣٩، وطبقات الشافعية للسبكي: ٤/ ٣٥.

وصف النسخ الخطية

المعتمدة في التحقيق وبيان وصحة نسبتها إلى المصنف

وقفت لهذا الكتاب على نسختين خطيتين.

◆ **النسخة الأولى: نسخة مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة** ◆

وتقع تحت رقم ١٣٠/٩٠٠، وقد بلغ عدد صفحاتها (١٠٠ صفحة) وكل صفحة تضم ٢١ سطرًا، وخطها جيد وواضح ومقروء. وكاتب النسخة هو: أحمد الأزهري، وتاريخ نسخها سنة ١٢٣١هـ.

◆ **النسخة الثانية: نسخة مكتبة حسن حسني عبد الوهاب بتونس** ◆

وتقع تحت رقم ١٨٣٢٥، وقد بلغ عدد صفحاتها (١١٣ صفحة) وكل صفحة تضم ١٥ سطرًا، وخطها عادي وواضح ومقروء إلا فى بعض المواضع. ولم يعرف اسم ناسخها، ولا تاريخ نسخها.

وكتاب: «الشرف الأعلى في ذكر قبور مقبرة المعلاة» نسبته إلى مؤلفه: محمد بن علي العبدري الشيبي ثابتة، وقد ذكرت ذلك المصادر التي ترجمت للمصنف.

نماذج من النسخ الخطية المعتمدة في التحقيق

الشرف الأعلى في ذكر قبور مقبرة باب المعلاة

الإمام العلامة الهمام الفهام ذي الآراء

الحميدة والصفات المفيدة قاضي قضاة

البلد الحرام خادم سنة النبي عليه

الصلاة والسلام أبي عبد الله جمال

الدين محمد بن علي بن محمد بن

أبي بكر بن محمد بن أحمد

ابن ناصر القرشي

نفعنا الله

به

آمين

٢٥٢

٤٢٣

من كتب التواريخ



صفحة العنوان من نسخة مكتبة عارف حكمت المرموز لها بـ (أ)

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله الباقي بعد فناء خلقه، المتكفل تفضلا
منه لكل مخلوق باستكمال اجله واستيفاء رزقه، الذي
جعل الموت لكل مخلوق ميسما في عنقه وجعل الخلايق
اجمعين تحت طاعته ورقه، والصلاة والسلام على
سيدنا محمد المبعوث الى غرب الوجود وشرقه، وعلى آله
وصحبه الذين سلموا من خطاء القول ومذقه وحازوا ابل
فازوا من كل فضل ومجد بغيته وبرقه، وبعد فقد
خطر لي ان اكتب في هذه الاوراق بعض ما قرأته على
القبور التي بمقبرة مكة المشرفة المسماه بالمعلا
وما قدرت عليه فان في ذلك تخليد ذكرهم واسمايهم
وحفظ وفياتهم والترحم عليهم وقت الوقوف على ذلك
والاتعاظ بحالهم الى غير ذلك من الفوايد، مثل شعر غريب
فيه ذكر الموت والاشارة الى الفراق وذكر التوجه الى دار
التلاق والله تعالى هو المسول ان ينبه على ذلك وان
يجعلنا ممن اتعظ بالموت وايقن بما هنالك وسهل
عليه سلوك تلك المسالك فهو العليم بجميع الامور المطلع
على ما في الصدور سبحانه لا اله الا هو تقدس وتمجد وتعزز
وقد خطر لي ان اذكر قبل المقصود فوايد غريبه تتعلق
بما نحن بصدد ذكره وهو الموت الذي لا عنه مهرب ولا منه
فوت وبعد ذلك اذكر المقصود من كتابة هذه الاوراق،

الصفحة الأولى من نسخة مكتبة عارف حكمت المرموز لها بـ (أ)

يوم الاربعا الثالث والعشرين من رجب سنة ست وخمسين
وخمسماية توفي بمكة في سابع صفر وقال ابن نجا في توفي في
صفر سنة اربع وعشرين وستماية وصلي عليه بمقام ابرهيم
ودفن بالمعلا قلت وحضرت دفنته بمقابر الصوفيه
هذا كلام القطب القسطلاني في كتابه المذكور وذكر بعد
هذا الكلام سنده في لباس الخرقة
حجر عليه بعد البسملة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم
وبعد قوله تعالى ومن يخرج من بيته مهاجرا الى اخر الايه ما صورته
هذا قبر العبد الفقير الى الله تعالى رحمة الله السعيد الشهيد
محمد بن عبد الملك بن محمد بن محمد المعروف بالمقدم توفي شهيدا
يوم الخميس الحادي عشر من ذي الحجه سنة ثلاث وثمانين وخمسماية
رحمه الله وجميع المسلمين امين وعلي جوانب الحجر قوله تعالى ولا تحسبن
الذين قتلوا في سبيل الله الى قوله اجر عظيم انتهى ما وجدته اخر
ما وجد من هذا الكتاب بخط جامعه العبد الفقير الى الله تعالى
محمد بن علي القرشي العبدري الشيبي الشافعي رحمه الله تعالى وجميع
المسلمين امين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم
وكان الفراغ منه يوم الاحد المبارك خمس
خلت من شهر ربيع الثاني على
يد كاتبه الفقير احمد الازهري
سنة ١٢٣١
م



الصفحة الأخيرة من نسخة مكتبة عارف حكمت المرموز لها بـ (أ)

الشرف الأعلى في ذكر قبور مقبرة باب المعلا

جمع الإمام العلامة العلامة الفهامة ذي الإلمام البليد

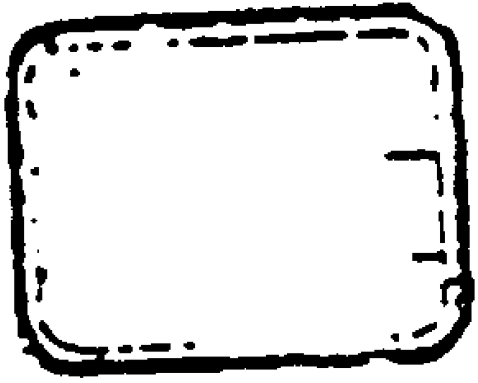
من الصفات الحنفية قاضي الإسلام بالبلد الحرام خادم

سنة النبي عليه الصلاة والسلام فاتح البيت المعظم وخازنه

وسادنه أبي عبد جمال الدين محمد

بن علي الشيبي تغمده الله برحمته

وأسكنه فسيح جنته



وإيانا والمسلمين

آمين

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم



صفحة العنوان من نسخة حسن حسني عبد الوهاب بتونس المرموز لها بـ (ب)

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

أخبرنا الإمام العلامة الأديب البارع قاضي القضاة
جمال الدين أبو المحاسن محمد بن علي بن محمد بن أبي بكر بن محمد
بن محمد بن ناصر القرشي العبدري الشيبي الشافعي رحمه الله
إجازة قال

بسم الله الرحمن الرحيم خلق وعز من لا يموت
الحمد لله الباقي بعد فنا جميع خلقه المتكفل تفضلا
منه لكل مخلوق باستكمال آجاله واستيفاء رزقه الذي جعل
الموت لكل مخلوق منهلا عنه وجعل الخلائق أجمعين
تحت طاعته ورقه والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث
إلى غرب الوجود وشرقه وعلى آله وصحبه الذين سلموا
من خطا القول وحذفه وحازوا الفوز من كل فضل ومجد
بحبته ورفده وبعد فقد خطر لي أن أكتب هذه
الأوراق بعض ما قرأته على القبور التي بمقبرة مكة المشرفة
المسماة بالمعلى وما قدرت عليه منها في ذلك مقتصرا على ذكرهم
وابحار

الصفحة الأولى من نسخة حسن حسني عبد الوهاب بتونس المرموز لها بـ (ب)

عمر ابن أبي جراده المعروف بابن العديم في تاريخ حلب واثنا
بما ذكرنا وباز يدس ذلك ولد بابهر يوم الاربعا الثالث
والعشرين من رجب سنه ست وخمسين وخمسمايه توفي بمكه
في تاسع محرم وقال ابن النجار في ثامن محرم سنه اربع وعشرين وستمايه
وصلي عليه بمقام ابراهيم ودفن بالمعلا قلت وحضرت
دفنه بمقابر الصوفيه هذا كلام القطب القسطلاني في الكتاب
المذكور وذكر بعد هذا الكلام سندا في الباس الخرقه
ومنها ما جمع علي بعد البسمله والصلاه علي النبي صلي
الله عليه وسلم وبعد قوله تعالى ومن يخرج من بيته الى الخير لابد
ما مور به هذا وقد تم العبد الفقير الى الله تعالى بحمد الله
السعيد الشهيد محمد بن عبد الملك بن محمد بن محمد المعروف
بالمعدم توفي ليله يوم الخميس الحادي عشر من ذي الحجه
سنه الف وثمانين وخمس مايه رحمه الله وجميع المسلمين امين
وعلى حواشيه العبد قوله تعالى ولا تخشون الدين فلنولينك قبله
اسواتا الى قوله تعالى اجر عظيم انتهى ذلك هذا اخر ما وجد

الصفحة الأخيرة من نسخة حسن حسني عبد الوهاب بتونس المرموز لها بـ (ب)

الشَّرَفُ الأَعْلَى
فِي ذِكْرِ قُبُورِ مَقْبَرَةِ بَابِ المَعْلا

جمع الإمام أبي عبد الله جمال الدين محمد بن علي
ابن محمد بن أبي بكر بن محمد بن أحمد بن ناصر القرشي

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه ثقتي

الحمد لله الباقي بعد فناء خلقه، المتكفل تفضلاً منه لكل مخلوق باستكمال أجله، واستيفاء رزقه، الذي جعل الموت لكل مخلوق ميسمًا في عنقه، وجعل الخلائق أجمعين تحت طاعته ورقه، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث إلى غرب الوجود وشرقه، وعلى آله وصحبه الذين سلموا من خطأ القول ومذقه[1]، وحازوا بل فازوا من كل فضل ومجد بغيثه وبرقه، وبعد:

فقد خطر لي أن أكتب في هذه الأوراق بعض ما قرأته على القبور التي بمقبرة مكة المشرفة المسماة بالمعلا، وما قدرت عليه فإن في ذلك تخليد ذكرهم وأسمائهم، وحفظ وفياتهم، والترحم عليهم وقت الوقوف على ذلك، والاتعاظ بحالهم إلى غير ذلك من الفوائد، مثل شعر غريب فيه ذكر الموت، والإشارة إلى الفراق، وذكر التوجه إلى دار التلاق، والله هو المسؤول أن يئ على ذلك، وأن يجعلنا ممن اتعظ بالموت وأيقن بما هنالك، وسهل عليه سلوك تلك المسالك فهو العليم بجميع الأمور، المطلع على ما في الصدور، سبحانه لا إله إلا هو تقدس وتمجد وتعزز.

وقد خطر لي أن أذكر قبل المقصود فوائد غريبة تتعلق بما نحن بصدد ذكره، وهو الموت الذي لا عنه مهرب، ولا منه فوت، وبعد ذلك أذكر المقصود من كتابة هذه الأوراق /إن شاء الله تعالى.

فائدة: قال أهل [اللغة] مات يمات ومات يموت فهو ميت وميت بالتشديد والتخفيف[2] قال عدي بن الرعلاء وجمع بينهما:

ليس من مات فاستراح بميت ... إنما الميت ميت الأحياء

ويستوى فيه المذكر والمؤنث قال تعالى: ﴿لِّنُحْـِۧىَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا﴾[3] ولم يقل ميتة.

فائدة: قال الفراء: يقال لمن لم يمت: إنه مائت عن قليل وميت، ولا تقل لمن مات: هذا مائت.

فائدة: الميتة -بفتح الميم- ما لم تلحقه الزكاة وبكسرها كالجلسة تقول مات فلان ميتة حسنة.

فائدة: الموات - بالضم -: الموت، - وبالفتح -: ما لا روح فيه، والأرض التي لا مالك

---

(١) المذق: الخلط، يقال: مذقت اللبن، إذا مزج بالماء، انظر: الصحاح للجوهري: ٤/١٥٥٢ مادة (مذق).

(٢) الصحاح: ١/٢٦٦ مادة (موت).

(٣) سورة الفرقان: آية: ٤٩.

لها من الآدميين ولا ينتفع بها، والموتان - بفتح الواو - خلاف الحيوان، يقال: اشتر الموتان، ولا تشترِ الحيوان، أي اشتر الأرض والدور، ولا تشترِ الرقيق والدواب(١).

فائدة: الموت ضد الحياة، وحَدَّه بعضهم بأنه: عوض يحدثه الله في محل الحياة فيصير الحي ميتًا لوجوده.

قيل: الموت يضاد الحياة، لأن كل ما يضاد الحياة فهو موت وما لا يضاد الحياة فليس بموت.

وقيل: هو عوض يضاد الحياة مضادة العافية على الحالة الواحدة وهي حالة تعديل البنية الحيوانية، وذلك أن ما لا يصح أن تحله الحياة لا يصح أن يحله الموت.

وقيل: الموت نقض البنية الحيوانية أو فقد ما ينافي أن تحتاج إليه الحياة/ من الرطوبات والمضار.

فائدة: كل قتل موت وإن لم يكن كل موت قتلًا خلافًا للمعتزلة حيث قالوا: القتل ليس بموت، ويرد ذلك عليهم قوله تعالى: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيۡهِ يَوۡمَ وُلِدَ وَيَوۡمَ يَمُوتُ﴾(٢) وهو مقتول وقول الشاعر:

فإن كنت لا تدرين ما الموت فانظري ... إلى هانئ في السوق وابن عقيل
إلى بطل قد عَفَّر السيف وجهه ... وآخر يهوي من طمار قتيل

يشير إلى أن عبيد الله بن زياد كان أمر بقتل هانئ المرادي ورميه في السوق، وأمر برمي مسلم ابن عقيل بن أبي طالب من سطح عالٍ، وشرح ذلك يطول وقوله: طمار - بفتح الطاء المهملة - وهو مبني على الكسر مثل قطام عند الأصمعي هو المكان المرتفع، والكسائي بقوله: - بفتح الراء وكسرها - وليس هذا مكان الرد على المعتزلة في دعواهم السابقة.

فائدة: الموت والحياة لفظتان مشتركتان مستعملتان في لسان العرب على ثلاثة عشر وجهًا.

أحدها: بمعنى الوجود والعدم.

وثانيها: مفارقة النفس الحيوانية للأجسام ومفارقتها إياها.

ثالثها: العز والذل.

رابعها: الغنى والفقر.

---

(١) الصحاح: ١/٢٦٧.

(٢) سورة مريم: آية: ١٥.

خامسها: الهدى والضلال.

سادسها: العلم والجهل.

سابعها: الحركة والسكون.

ثامنها: الخصب والجدب.

تاسعها: اليقظة والنوم.

عاشرها: اشتعال النار وخمودها.

حادي عشرها: المحبة والبغض.

ثاني عشرها: الرطوبة / واليبس.

ثالث عشرها: الرجاء والخوف.

ولو أردت ذكر الشواهد على هذه الأقسام لطال الأمر، وقد ذكرتها بشواهدها وأدلتها في كتابي: «قلب القلب».

فائدة: من خرس لسانه عند الموت، وذهب عقله فلم ينطق بالشهادة عند الموت، ولا أحضر الإيمان بقلبه، ومات على تلك الحالة، مات مؤمنًا ولا يضر عدم الإيمان الفعلي عند الموت، كما أن الكافر إذا حضرته الوفاة، وهو أخرس، ذاهب العقل، عاجز عن الكفر في تلك الحالة، لعدم صلاحيته له، لا ينفعه ذلك، وحكمه عند الله تعالى، حكم الذين استحضروا الكفر في تلك الحال بالفعل، فالمعتبر ما تقدم الوفاة من كفر وإيمان، ولا يضر العدم في المعنى عند الموت، قاله العلماء، ونقله عنهم القرافي في قواعده.

فائدة: تعرض للإنسان عند الإشراف على الموت قوة وحركة نحو ما يعرض للسراج عند انطفائه من حركة وضياء ساطع، وتسميها الأطباء: النعشة الأخيرة، قال بعضهم:

قولا لشيخ هز من عطفه ... إن نعشه دولة زاهرة
لا تغترر فالمرء يرمي به ... في اللحد بعد النعشة الآخرة

وقال ابن عبد الله النقاش البغدادي:

إذا وجد الشيخ في نفسه ... نشاطًا فذلك موت خفي
ألست ترى أن ضوء السراج ... له لهب عندما ينطفي

وهذا الرجل كان نقاشًا للحلي ببغداد، ثم صار بزازًا[1]، واسمه/عيسى بن عبد الله بن عيسى، وكان خفيف الروح صاحب نوادر ولطائف، روى عنه التاج الكندي الكامل للمبرد مع أنه كان يمتنع من الرواية ويقول ما أنا أهل لذلك، توفي سنة أربع وأربعين وخمسمائة، وله شعر لا بأس ببعضه، أعجبني منه قوله من أبيات:

وإذا تبسم في دُجى ... ليل شهدت له بفجر
وكذاك تظلمه إذا ... شبهت ريقته بخمر
يرنو بنجلاوين يسقم ... من يشاء بهما ويبري

فائدة: في أول من مات وآخر من يموت، أما الأول: فلا أظن أن يتوصل إلى معرفته بوجه من الوجوه كما لا يخفى، وإن كان أبو الفرج بن الجوزي قال: روينا أن أول من مات آدم، قال: وفي هذا بعد فإنا روينا أن حواء لم يعش لها ولد فسمت ولدها عبد الحارث، فكيف يقال مع هذا ما قيل؟

وروى ابن الجوزي أيضًا بسنده إلى بقية عن سفيان قال: أوحى الله تعالى إلى موسى أن أول من مات إبليس، وذلك أنه عصاني وإنما أعُدُ من عصاني من الموتى[2].

وأما آخر من يموت فقد ورد في الحديث أن آخر من يموت من هذه الأمة رجلان من مزينة ينزلان جبلًا من جبال العرب، يقال له: ورقان[3]، ذكره السهيلي في الروض، ونقله عن البكري[4] في كتاب معجم ما استعجم[5]، قال السهيلي: ورقان اسم جبل، قال: ووقع في نسخة سفيان/ورقان - بفتح الراء -، وقيده أبو عبيدة البكري - بكسر النون -، وأنشد الأحوص[6] وهو - بالحاء والصاد المهملتين -:

وكَيْفَ تُرَجِّي الوَصْلَ مِنْهَا وأَصْبَحَتْ ... ذُرَا وَرِقَانِ دُونَهَا وحَفِيرُ

(١) البزاز: بائع البز، وحرفته البزازة، والبز: الثياب. انظر: لسان العرب: ٥/٣١١، مادة (بزز).

(٢) المنتظم لابن الجوزي: ١/١٧٧.

(٣) أخرجه الحاكم فى المستدرك: ٤/٦١٠.

(٤) فى نسخة (أ): «الكبري» والتصويب من نسخة (ب) والمراجع.

(٥) معجم ما استعجم: ٤/٢٠٦.

(٦) هو: الأحوص الأنصاري، والبيت في ديوانه: ص ١٢٦ (نشر: الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر - وزارة الثقافة - القاهرة، ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م، جمع وتحقيق: عادل سليمان جمال، مراجعة د/ شوقي ضيف).

قال: ويخفف، فيقال ورقان قال [جميل[1]]:

يا خليلي إنّ بثْنَة بانت يومَ وَرْقَانَ بالفُؤَادِ سَبِيًّا[2]

قال وذكر أنه من أعظم الجبال وأن فيه أوشالًا وعيونًا عذابًا وسكانه بنو أوس من مزينة، وذكر فيه حديثًا وهو قوله ﷺ: «ضرس الكافر في النار مثل أحد، وفخذه مثل ورقان[3]» هذا كله نقله السهيلي.

قال الشيخ الإمام القطب العارف سيدي[4] عبد الله بن أسعد اليافعي نفع الله به في تاريخه بلغني أن فخر الدين محمد بن فضل الله، كاتب المماليك وناظر الجيش، حج مع السلطان الملك الناصر في بعض حجاته وكان قريبًا منه، فلما مرّ السلطان بوادي بني سالم بدا له جبل ورقان، فقال له يا فخر من في رأس هذا الجبل؟ فقال له: غلمان مولانا السلطان، فقال له السلطان: ليس النازلون في هذا الجبل لي بغلمان يعني أن من كان ساكناً في هذا الجبل المنيع العالي فليس لي في طاعة ولا بي مبال. وفي هذا المعنى خطر لي هذان البيتان:

إذا ما كُنتُ في حصن عند رأس ورقانْ فإني لا أبالي بوال أو بسلطانْ/

وهذا الجبل المذكور يؤتى منه بالعسل الفائق المشهور، وأخبرني من له به خبرة أن فيه أشجارًا وأنهارًا ونباتًا وأزهارًا كثيرة يطول بذكر أسمائها التعداد، ولا توجد في غيره من البلاد. انتهى.

وقد طال الكلام بما ليس هو من قصدنا، لكن الحديث شجون، وأنواع وفنون.

فائدة: أول ما ينطق به الميت وهو على الجنازة ما رواه البخاري في صحيحه بسنده إلى أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إذا وضعت الجنازة فاحتملها الرجال على أعناقهم فإن كانت صالحة قالت قدموني قدموني، وإن كانت غير صالحة قالت: يا ويلها أين يذهبون بها، يسمع صوتها كل شيء إلا الإنسان، ولو سمعها الإنسان لصعق[5].

وأول فتنة بعد الموت سؤال منكر ونكير - بضم أول الأول وفتح أول الثاني - وقد ورد ذلك في الحديث.

(١) في النسختين الخطيتين: «حميد» والصواب ما أثبته.

(٢) البيت لجميل بن معمر العذري في ديوانه: ٢٢٧.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده: ٣٢٨/٢، والحاكم في المستدرك: ٦٣٧/٤.

(٤) هذه أوصاف وألقاب كانت تطلق على المتصوفة، والأولى تجنبها.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب كلام الميت على الجنازة: ٢٤٤/٣، والنسائي في السنن، كتاب الجنائز، باب السرعة بالجنازة: ٤١/٤.

قال في الصحاح: منكر ونكير أسماء ملكين[1]، وذكر تاج الدين بن يونس في شرح تعجيزه شيئًا غريبًا، أتى فيه بعجائب عجيبة مخالفًا لما في الأحاديث، ولما تكرر نقله على ألسنة حملة الشريعة، وهو أنه قال: إن منكرًا ونكيرًا، إنما يسألان الكفار، وأما اللذان يسألان المسلمين فمبشر وبشير، وهذا وإن كان حسنًا، وهو تفاؤل وبشارة، وفيه ترغيب، فمثل هذا يتوقف على النقل، ولا يدرك بالعقل، ولا بالقياس.

فائدة: لو حفر لنفسه قبرًا / في حياته هل يصير أحق به من غيره؟ ذكره عماد الدين أبو حامد محمد بن يونس بن ربيعة الأربلي في فتاويه أنه لا يصير أحق به من غيره ما دام حيًا قال: فإن حفره ومات عقيبه وحضر ميت آخر فالذي حفره أحق به.

ذكر العبادي في الزيادات: أن من حفر لنفسه قبرًا في مقبرة واسعة فالمستحب أن لا يزاحم فإن دفن فيه غيره جاز لأنه لا يدري متى يموت.

فائدة: قال الجوهري في صحاحه في مادة «نعش[2]»، النعش: سرير الميت سمي بذلك لارتفاعه، فإذا لم يكن عليه ميت فهو سرير.

وخالف ذلك في مادة «جنز[3]» فقال: الجنازة واحدة الجنائز، والعامة تقول: الجنازة - بالفتح - والمعنى للميت على السرير، فإذا لم يكن عليه الميت فهو سرير ونعش، هذا كلامه والتناقض فيه ظاهر.

والذي قاله في هذه المادة الأخيرة قاله ابن سيده في المحكم[3] في هذه المادة أعني مادة جنز، فقال: قال الفارسي لا تسمى جنازة حتى يكون عليه ميت وإلا فهو سرير أو نعش، وذكر ابن سيده أيضًا أن الجنازة يقال - بالفتح والكسر - خلافًا لما سبق عن الصحاح.

وقال النووي: الجنازة - بالفتح -: الميت، - وبالكسر -: اسم للسرير، قال: وقيل بالعكس، نقله عن صاحب المطالع.

وأما أنا فالذي ظهر لي وفهمته من فحوى كلام علماء العرب وفصحائهم أن تسمية سرير الميت نعشًا لم يكن في الجاهلية، وإنما هي تسمية إسلامية.

يدل على ذلك قول النابغة في النعمان بن المنذر/لما مرض وكان النعمان يحمل على سرير

(١) الصحاح: ٨٣٧/٢ مادة (نكر).
(٢) الصحاح: ١٠٢١/٣.
(٣) الصحاح: ٨٦٧/٢.

على أعناق الرجال ويدار به ما بين الغمر وقصور الحيرة وكانت ملوك العرب تفعل ذلك إذا اشتد بها المرض، لأن أكتاف الرجال عندهم أوطأ من الأرض.

ألم تر خير الناس أصبح نعشه | على فتية قد جاوزوا الحي ظاهرًا
ونحن لديه نسأل الله خلده | يرد لنا مُلكًا وللأرض عامرًا

فلو كان السرير الذي يحمل عليه الميت يسمى إذ ذاك نعشًا لما حسن من النابغة وهو صناجة العرب أن ينشده لملك مريض، وأيضًا فإن النابغة كان في ذلك الوقت يطلب رضى النعمان عليه ويتسبب في ذلك بكل سبب فإنه كان ساخطًا عليه بسبب يطول ذكره.

وقال فيه النابغة أيضًا في هذه الواقعة بعينها يخاطب حاجب النعمان عصامًا، الذي قيل فيه: «نفس عصام سودت عصامًا» إلى آخره وقيل فيه غير ذلك أيضًا.

ألم أقسم عليك لتُخبرنّي | محمول علي النعش الهمام
وأني لا ألوم على دخول | ولكن ما وراءك يا عصام
فإن يهلك أبو قابوس يهلك | ربيع الناس والشهر الحرام
ونمسك بعده بذنات عيش | أجب الظهر ليس له سنام

هذا الذي ظهر لي وفوق كل ذي علم عليم، والله أعلم.

فائدة: وردت أخبار وأحاديث صحيحة وحسنة بما حصل للأنبياء عند الموت من معالجة سكراته ومقامات شدائده، وكثيراً ما يسأل عن حكمة ذلك – وفي ذلك والله أعلم فائدتان:

إحداهما: أن يعرف الخلق ذلك، فقد يطلع إنسان على حال بعض الموتى فلا يرى لهم قلقاً ولا ألمًا لعدم الحركة، فيغلب على ظنه سهولة الموت، فلما ذكر الأنبياء الصادقون في خبرهم شدة الموت وألمه مع كرامتهم على الله قطع الخلق بذلك.

ثانيهما: أنه بلاء، وأشد الناس بلاءً في الدنيا الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل وليس ذلك في حقهم نقصًا ولا عذابًا بل هو كمالٌ ورفعةٌ لدرجاتهم عنده، مع رضاهم بجميل ما يجري عليهم، لتعظم أجورهم ومنازلهم، كما ابتلي إبراهيم الخليل بالنار، وموسى الكليم بالخوف والأسفار، وعيسى بالصحارى والقفار، ونبينا ﷺ بالفقر في الدنيا ومقاتلة الكفار وأذاهم له.

فائدة غريبة: فيمن عاش بعد الموت.

وقد جمع ابن أبي الدنيا كتابًا في ذلك أتى فيه بكل غريب، وقد روي عن عائشة رضي الله تعالى عنها أنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: يتكلم رجل من أمتي بعد الموت من

خيار التابعين[1]. وروى نصر بن أحمد بن يزيد بن مسعود بن خراش أن الربيع بن خراش كان حلف أن لا يضحك حتى يعلم في الجنة هو أم في النار، فمكث لا يراه أحد يضحك حتى مات فيما يروون، فأغمضوه وسجوه فقال ربعي بن/ خراش: رحم الله أخي كان أقومنا في الليل، وأصومنا في النهار الحار، فهم جلوس إذ طرح الثوب عن وجهه واستقبلهم وهو يضحك فقال له ربعي: يا أخي أبعد الموت؟ قال: نعم إني لقيت ربي وإنه تلقاني بروح وريحان، ورب غير غضبان، وإنه كساني سندسًا وحريرًا ألا وإني رأيت الأمر أيسر مما ترون فلا تغتروا، وإن خليلي محمدًا ﷺ ينتظرني ليصلي علي، الوحا الوحاء، ثم خرجت نفسه في آخر ذلك كأنها عصاة قذفت في ماء فبلغ ذلك أم المؤمنين عائشة رضي الله تعالى عنها، فقالت: أخو عيسى رحمه الله تعالى سمعت رسول الله ﷺ يقول[2] وذكرت الكلام السابق عنها.

ومن غرائب ما حدَّث به ابن الماجشون قال: عرج بروح الماجشون فوضعناه على سرير الغسل، فدخل عليه غاسل يغسله فرأى عرقًا يتحرك في أسفل قدميه، فلم يعجل بغسله، فمكث على ذلك ثلاثًا والناس يترددون إليه ليصلوا عليه ثم استوى جالسًا وقال: ائتوني بسويق فأتي به فشربه فقلنا له: خبرنا ما رأيت، فقال: عرج بروحي فصعد بي الملك حتى أتى سماء الدنيا فاستفتح ففتح له ثم هكذا في السماوات حتى انتهى إلى السابعة، فقيل له: من معك؟ فقال: الماجشون، فقيل له: لم يأذن له بعد، بقي من عمره كذا وكذا سنة، وكذا وكذا شهرًا، وكذا وكذا ساعة، ثم هبطت فرأيت / النبي ﷺ وأبا بكر عن يمينه وعمر عن يساره وعمر بن عبد العزيز بين يديه، فقلت للملك الذي معي: من هذا؟ فقال: عمر بن عبد العزيز، فقلت له: إنه لقريب من رسول الله ﷺ؟ فقال: إنه عمل بالحق في زمن الجور، وإنهما عملا بالحق في زمن الحق[3]، ثم توفي الماجشون هذا في سنة أربع وستين ومائة، وكان سمع من عمر بن عبد العزيز، ومحمد بن المنكدر وجماعة.

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب: من عاش بعد الموت برقم (١١)، والبيهقي في الدلائل: ٦/ ٤٥٥ وإسناده ضعيف جدًا لانقطاعه.

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب: من عاش بعد الموت برقم (١١).

(٣) هذه القصة تبين أن الإمام الفقيه عبد العزيز الماجشون تعرض للإغماء فرأى هذه الرؤيا في المنام ثم أفاق بعد ذلك فأخبر بما رأى. ولم أقف على سند لهذه الرواية.

ومن عجائب هذا الباب: ما تدعيه الخزرج من أن زيد بن خارجة بن زيد بن أبي زهير بن مالك بن أمرئ القيس بن مالك بن الأعز بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج تكلم بعد الموت وقصته مشهورة، وفي التواريخ مسطورة فلا نطول بذكرها، وخارجة أبو زيد هذا عقبي بدري من شهداء أحد وابنته زوج أبي بكر الصديق رضي الله عنه[1].

فائدة: أول من أحيي الموتى بإذن الله تعالى إبراهيم الخليل عليه السلام قال تعالى: ﴿فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾... إلى قوله: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[2] وقد قال الشافعي رضي الله تعالى عنه: ما أعطى الله لنبي شيئاً إلا وأعطى محمدًا ﷺ ما هو أكبر منه وأفضل، فقيل له قد أعطى الله عيسى بن مريم إحياء الموتى، فقال الشافعي: حنين الجذع أعظم منه لأن إحياء الخشبة أعظم من إحياء الميت قاله أبو منصور البغدادي.

فائدة: الشيخ إسماعيل الحضرمي المذكور يعرف في بلاد اليمن بمكلم الموتى[3]، نقلت من خط الشيخ المجتهد أبي العباس الميورقي - نزيل وج والطائف - ما صورته: سمعت مفتي الحرمين أحمد بن عبد الله الطبري يقول: إن الفقيه إسماعيل بن محمد الحضرمي قال له: تؤمن بأن في عصرنا من يكلم الموتى ويكلمونه ويراهم ويرونه؟ قال: فقلت له إن ادعيت أنت ذلك صدقتك قال: فقال لي هذا صاحبكم المكي قال لي: قل لأصحابي: إني من حشو الجنة، قال وكان الميت المكي رجلًا تمارًا قال أصحابه في البيع: ولم يكن من خيارنا في حياته بل أظنه نفعه الله بصلاة الفقيه إسماعيل الحضرمي، توفي الشيخ إسماعيل هذا ببلدة الضحى ليلة عرفة سنة ست وسبعين وستمائة.

وقال الأسنوي في الطبقات: سنة ست أو سنة سبع على الشك، ولا خلاف أنه سنة ست، والله أعلم، وكان مشهورًا في الدين والعلم.

وقد شرح المهذب في أربعة أجزاء وقفت عليه، ونقلت من خط بعض الفضلاء عنه أنه قال: إن الأوجه والأقوال تخاطبني[4]: أنا الأصح، أنا الأصح، ولا حاجة إلى التطويل بذكر أحواله،

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب: من عاش بعد الموت برقم (٣، ٤، ٥)، والبيهقي في الدلائل: ٥/٥٧.

(٢) سورة البقرة: آية: ٢٦٠.

(٣) هذه دعاوى تحتاج إلى إثبات؛ فما أخبرنا الله به عن إبراهيم وعيسى عليهما السلام، يجب الإيمان به، وما عدا ذلك فيتوقف في أمره.

(٤) «الوجه» و«القول» مصطلحات فقهية. ومخاطبتهما له أمر يحتاج إلى إثبات، والله المستعان.

فهي أشهر من الشمس، وأبين من أمس، وقد زرت قبره ببلدة الضحى سنة اثنين/وعشرين وثمانمائة، ورأيت على قبره من الجلال والهيبة ما هو لائق بجلاله وشرفه نفع الله به.

ونقلت من خط أبي العباس الميورقي أيضًا: أخبرني الفقيه سالم بن يحيى التريمي الحضرمي أنه رأى من خُيِّر بين الموت والحياة فما مات حتى اختار الموت بنفسه(١).

ونقلت من خطه أيضًا: يقال: إنه لما دفن الفقيه سالم وقف تلميذه الشيخ أحمد بن محمد بن الجعد على قبره، وتوفي ابن الجعد سنة سبع وخمسين وستمائة.

فائدة: ذكر الحاكم في تاريخ نيسابور عن أبي السكن الهجري قال: مات خليل الرحمن إبراهيم فجأة، بل يقال: إن إبراهيم الخليل عليه السلام أول من مات فجأة، ومات داود فجأة، ومات ابنه سليمان فجأة، انتهى كلامه، ومات الصالحون كذلك وهو تخفيف على المؤمن وتشديد على الكافر، وسبب ذلك كما قاله بعض الأطباء أن القلب لا ينقبض ولا ينبسط، فيحدث عند ذلك للحرارة الغريزية اختناق، كما يحدث عند بطلان النفس، لأن بطلان النفس إنما يقتل بأن يصير القلب لعدمه لا ينقبض ولا ينبسط، أماتنا الله تعالى على ما يحب ويرضى وأحيانا على ذلك إنه سميع مجيب.

فائدة: اعلم أنه ما من حالة إلا وقد مات عليها ميت، حتى في حال الجماع، كما اتفق ذلك في زماننا في اليمن، وفي مصر أيضًا لبعض مشايخنا، وأخبرني بذلك غير واحد / من الثقات، إلا المنبر فإنه لم يمت عليه أحد فيما علمت، قال جابر بن الأشعث: خطبت على منبر مصر فغشيني سنةٌ شبه الموت فأيقنت به، وخفت أن أموت فكان اهتمامي في ذلك الوقت بأن يقال: هو أول من مات على منبر أشَدَّ من غمي بالموت وجزعي منه انتهى.

فائدة: في الحديث عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الموت كفارة لكل مسلم»(٢) نقلته من سراج المريدين للقاضي أبي بكر بن العربي وقال فيه: حديث صحيح.

فائدة: سئل المزني عن الموت فقال: هو فزع الأغنياء وشهوة الفقراء وقال الحسن: إن هذا الموت فضح الدنيا فلم يدع فيها لذي لب فرحًا، وقال عبد الأعلى التيمي: شيئان قطعا عني لذاذة

---

(١) هذا وارد في حق الأنبياء عليهم السلام، لحديث عائشة رضي الله عنها الذي أخرجه الإمام أحمد في مسنده: ٦/٢٠٥: «لا يموت نبي إلا خير بين الدنيا والآخرة». وإثبات ذلك لغيرهم يحتاج إلى دليل.

(٢) أخرجه الشهاب في مسنده: ١/١٣٣.

الدنيا، ذكر الموت والوقوف بين يد الله تعالى، وقال الصديق لخالد بن الوليد رضي الله تعالى عنهما: فر من الشرف يتبعك الشرف واحرص على الموت تعط الحياة، وقال بشر الحافي: الموت داخل السرور أكثر منه خارج السرور، وقال أيضًا: أمسُ قد ماتَ اليوم في النزع وغدًا لم يولد، وقال الجنيد: سمعت سريا السقطي يقول: أشتهي أن لا أموت في بلدي، أفزع أن لا تقبلني الأرض فأفتضح، وقال أحمد بن أبي الحواري: إنما كره الأولياء الموت لانقطاع ذكر الحبيب عنهم، وقيل لعلي بن أبي طالب كرّم الله وجهه أتقتل أهل الشام بالغداة وتظهر بالعشي في إزار ورداء فقال: أبِ الموت/ أخوف؟ والله ما أبالي أسقطت على الموت أم سقط عليّ الموت، وقال داود بن نصير الطائي: صم عن الدنيا واجعل فطرك الموت، وفر من الناس فرارك من الأسد.

وحدث الزبير بن بكار قال: كان أبو شيبة الحجبي: إذا مرت به جنازة سأل عنها فإن قيل من الموالي قال: مال الله يأخذ منه ما شاء فليضع الموت بركة، وإن قيل: من العرب قال: المادة كبيرة، وإن قيل: من الأنصار قال: أهل الأرض وإن قيل: من قريش قال: واقوماه استحلتهم المنايا.

ذكرت بقوله: استحلتهم المنايا ما رواه الطبراني بسنده إلى عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: قال رسول الله ﷺ أول الناس هلاكًا قومك، قالت: قلت كيف يا رسول الله؟ قال: يستحلهم الموت ويتنافس فيهم، قلت: فما بقاء الناس بعدهم؟ قال: بقاء الحمار إذا كسر صلبه[1].

وقال المهلب بن أبي صفرة: الحياة خير من الموت، والثناء الحسن خير من الحياة، ولو أعطيت ما لم يعطه أحد لأحببت أن أكون أذنًا أسمع بها ما يقال فيّ في غدٍ إذا مت. وقيل إن هذا من كلام ولده يزيد والله أعلم.

وقال أعرابي: ما بقاء عمر تقطعه الساعات، وسلامة بدن مُعرض للآفات، ولقد عجبت من المؤمن كيف يكره الموت، وهو ينقله إلى الثواب الذي أحيا له ليله، وأظمأ له نهاره.

وذكرت / قول أفلاطون: ما أبين فضيلة الموت إذ كان سببًا للنقلة من عالم التعب إلى عالم الراحة، ومن عالم الفناء إلى عالم البقاء والراحة، ممن لا ينصفك من أضدادك، وإنما يكره الموت من يرغب في الدنيا، وأتعب نفسه في جمع حطامها، أسفًا على ما جمع منها.

وقال أفلاطون أيضًا: ينبغي للعاقل الحسن الحال أن لا يفرح بموت عدو له، لأن الطبيعة لا

(١) لم أجده.

قال ابن السكيت: أقبرته، أي صيرت له قبرًا يدفن فيه، وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ﴾[1] أي: جعله ممن يقبر، ولم يجعله يلقى للكلاب، وكأن القبر مما أُكرِمَ به بنو آدم. انتهى كلام الجوهري[2]، ما عدا قولي: يعني - بضم الباء وكسرها - فإنه من تفسيري.

اعلم: أن أصحاب مذهب الشافعي رضي الله تعالى عنه قالوا: لا يجوز دفن الميت قبل الصلاة عليه، وإن قلنا: إن الفرض يسقط بالصلاة على القبر/

واعلم: أن دفن الميت فرض كفاية بالإجماع، وكذا غسله وتكفينه والصلاة عليه، هكذا نقل أصحابنا الإجماع، ورأيت في مختصر ابن الحاجب الفرعي حكاية قولين في وجوب الغسل.

فائدة: أقل واجب في القبر ما يكتم رائحة الميت عن الناس، ويحرسه من السباع، ولكن هل يشترط مع ذلك الحفر، أو يكفي وضع الميت على وجه الأرض ويوضع عليه أحجار وتراب ونحو ذلك مما يكتم رائحته ويحرسه من السباع/

حكى النووي في آخر كتاب السرقة من الروضة في زوائده: أنه ينبغي أن لا يكفي ذلك إلا إذا تعذر الحفر لأنه ليس بدفن، ونقل الرافعي الشافعي عن فتاوى البغوي ما حاصله: أنه يكفي، هذا حد أقله، وأما أكمله فهو قدر قامة وسط، وهي ثلاثة أذرع ونصف، قاله الرافعي تبعًا للمحاملي.

وقال النووي: الصواب: أربعة أذرع ونصف، ونقله عن الجمهور، وقال في الدقائق: إن الأول غلط والدليل على ذلك أن عمر رضي الله عنه أمر به، ولأنه أبلغ في المقصود من الدفن، ومراد الأصحاب بذلك قامة رجل معتدل، وقيل: يستحب قدر قامة فقط وهو مقدار ثلاثة أذرع.

فائدة: **يجوز اللحد**، وهو حفر حائط القبر، والشق: وهو حفر قعره كالنهر، واللحد أولى في الأرض الصلبة، لما روى مسلم عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أنه قال في مرضه الذي مات: الحدوا لي لحدًا، وانصبوا عليّ اللبن نصبًا، كما فعل برسول الله ﷺ[3]، وفي الحديث: «اللحد لنا والشق لغيرنا»، رواه أبو داود والترمذي وغيرهما[4]، لكنه ضعيف وإن لم تكن الأرض صلبة فالشق أولى مراعاة للمصلحة.

---

(١) سورة عبس: آية: ٢١.

(٢) الصحاح: ٢/٧٨٤ مادة (قبر).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجنائز، باب في اللحد ونصب اللبن على الميت: ٤/٣٩.

(٤) أخرجه الترمذي في الجنائز (١٠٤٥) وقال: حسن غريب من هذا الوجه، وأبو داود في كتاب الجنائز، باب اللحد، حديث رقم (٣٢٠٨).

وأفاد الخطابي في شرح غريب الحديث له، أن الضريح هو المشقوق في الأرض طولًا فإذا كان ملحودًا لم يسم ضريحًا انتهى كلامه[1].

وأما الجوهري فقال: **الضريح**: الشق من وسط القبر، واللحد: في الجانب، وقد ضرحت ضرحًا إذا حفرته، ولم يزد على ذلك في هذه المادة[2]، وقال في مادة «لحد»: واللحد - بالتسكين -: الشق في جانب القبر، واللحد - بالضم - لغة فيه تقول: لحدت للقبر لحدًا أو ألحدت له أيضًا فهو مُلْحَد انتهى[3].

فائدة: يستحب رفع القبر قدر شبر ليعرف، ولو بالحصى والحجارة، وعبارة الحاوي الصغير تقتضي نفي الكراهة فإنه قال: ويرفع قدر شبر، ولكن صرح الأئمة باستحباب ذلك، واستثنى المتولي قبر المسلم ببلاد الكفار فيخفى، صيانة عنهم.

وأما تجصيص القبر فإنه مكروه، وألحق به إمام الحرمين، وتبعه الحاوي التطيين، والتجصيص مرتبة فوق التطيين، وروى الترمذي عن الشافعي أنه لا بأس بالتطيين، وصححه النووي في شرح المهذب، لأنه لم يرد فيه نهي[4].

ويستحب وضع الحصاة على القبر، وترميمه وتنضيد اللبن على فتح اللحد، / وتسد فرج اللبن، ثم يهال عليه التراب بالمساحي [........[5]]، هذه عبارة الحاوي[6]، وعبارة ابن الرفعة: يستحب ذلك لمن حضر، والتسطيح أولى من التسنيم.

ويستحب رش القبر بالماء عقيب الدفن لأنه ورد أنه ﷺ كان جالسًا على شفير قبر ابنه إبراهيم وأنه رش على قبره ماءً[7].

قال النووي في تهذيب الأسماء واللغات: وهو أول قبر رش عليه الماء، ولم يذكر في الحاوي الصغير رش القبر بالماء بعد الدفن.

وصفة دفن الميت أن يوضع على شفير القبر، بحيث يكون رأسه عند مؤخر القبر ثم يسيل إلى القبر من جهة رأسه، ويضجعُ الميتَ الرجال، وإن كانت امرأة أضجعها الزوج، ثم المحرم، ثم

(١) غريب الحديث للخطابي: ١/٦٢٦.

(٢) الصحاح: ١/٣٨٦ مادة (ضرح).

(٣) الصحاح: ١/٥٣١ مادة (لحد).

(٤) المجموع شرح المهذب: ٥/٢٩٨.

(٥) عبارة غير واضحة في الأصل، ولا توجد بكتاب الحاوي.

(٦) الحاوى للماوردي: ٣/١٨٩.

(٧) أخرجه الشافعي في الأم: ١/٣٦٠، والبيهقي في السنن الكبرى: ٣/٤١١.

عبدها، ثم الخصي، ثم العصبة، ثم ذو الرحم، أي من لا محرمية له، ثم الأجانب، ويضجع على جنبه الأيمن، وإن عجز واحد فيستحب أن يكون عدد الدافنين وترًا، قالوا: ويفضي بوجهه إلى تراب أي بخده الأيمن هكذا أطلقوه وقال في البحر: ولعلهم أرادوا خده مع الكفن.

قال النووي في شرح المهذب: صرح الأصحاب بالإفضاء بخده إلى التراب، ومعناه أن ينحى الكفن عن خده ويوضع على التراب[1].

فائدة عظيمة: إذا أعاره أرضًا لدفن ميت محترم فإنه لا رجوع له ما لم يندرس الميت، أي يصير ترابًا لأنه دفن بحق، والنبش بغير ضرورة حرام لأجل هتك حرمة الميت ويكون ذلك من العواري اللازمة من جهة المعير وهو خلاف موضوع العارية / لأنها إعانة ومكرمة ولو منعنا المالك من الرجوع فيها عند حاجته إليها لامتنع الناس منها فناسب أن تكون جائزة للطرفين، إلا أنهم استثنوا من هذا الأصل مسائل لمعان أحدها المسألة المذكورة.

قال الماوردي والبغوي: ولا أجرة له إذا رجع يعني في المسألة السابقة. قال: لأن العرف يقتضيه، والميت لا مال له، وقد استقر رأي القاضي حسين، كما قاله في المطلب على امتناع الرجوع قبل الاندراس وبعده، وأطلق الماوردي المنع من التصرف على ظاهر القبر، نعم للمالك سقي الأشجار إذا لم يفض إلى ظهور شيء من بدن الميت، نقله الرافعي عن صاحب النهاية وأقره، وذكرها أيضًا القاضي الحسين والغزالي، ومحل عدم الرجوع إنما هو بعد الدفن كما أشعرت به عبارة المحرر، فإن رجع قبل المواراة نظر إن كان بعد الوضع فالصحيح امتناعه كما قاله الرافعي في الشرح الصغير، ولا يؤخذ من الكبير والروضة تصحيح، وإن كان الرجوع قبل الوضع جاز لكنه يغرم لولي الميت مؤنة الحفر إن كان حفر، لأنه الذي ورطه فيه، قاله المتولي في التتمة.

وقع في الرافعي: أن ولي الميت يغرم واغتر به في المطلب فجزم به، وهو غريب.

وفي فتاوي البغوي أن المعير إذا بادر إلى زراعة الأرض بعد حراثة المستعير لها لم يلزمه أجرة الحراثة، الذي يظهر أنه لا فرق بين المسألتين والله أعلم.

ومن العواري اللازمة أيضًا وهو مناسب لما نحن فيه / ما إذا كفن أجنبي ميتاً وقلنا: إن الكفن باقٍ على ملك الأجنبي وهو الأصح في كتاب السرقة من زوائد الروضة، وممن صرح بأن هذا من

(١) المجموع شرح المهذب: ٥/٢٩٣.

العواري اللازمة، الغزالي في الوسيط في كتاب السرقة أيضًا، وصرح في باب الوصية بأنها عارية، وذكر الرافعي في السرقة نحوه انتهى.

فائدة: القبر يحترم، كما لو كان من فيه حيًا، فيكره الاتكاء عليه كما نقله النووي من زوائد الروضة عن الأصحاب، لكن جزم في آخر كتاب الجنائز من شرح مسلم بتحريم الاستناد إلى القبر والجلوس عليه[1] وكذا أن يطأه إلا لحاجة كالوصول إلى قبر ميته، وما أحسن عبارة الحاوي من قوله: «ويحترم كهو» ويعجبني قول القائل:

وإني لأستحييه والترب بيننا ... كما كنت أستحييه وهو يراني

وبقية الكلام على هذه المسائل محلها كتب الفقه المطولة والله أعلم.

فائدة: لا يجوز جمع اثنين وثلاثة في قبر إلا لحاجة، ولا يجمع بين الرجل والمرأة إلا لشدة الحاجة ويجعل بينهما حاجز من تراب، ويقدم الأفضل إلى جدار اللحد، فإن جمع لغير حاجة كره.

وقال السرخسي الشافعي: يحرم، والكلام في هذه المسألة كثير حاصله أن دفن جمع من نوع واحد مكروه، أو رجل وامرأة. ابتداء بلا ضرورة فيظهر التحريم، أما في الدوام كإدخال ميت على ميت فلا يجوز حتى يبلى الأول لحمًا وعظمًا / فإن حفره فظهر فيه شيء من العظام فعن النص أن يجعله في جنب القبر ويدفن الثاني معه، ولا يجوز بعد بلاء الميت عمارة القبر وتسوية التراب عليه في المقابر المسبلة.

فائدة: لا يجوز نبش القبر إلا أن ينمحي أثره ويبلى ويصير ترابًا، ولا يقدر بزمان، بل يختلف باختلاف البقاع والأماكن، وينبش أيضًا إذا دفن في مغصوب أرضٍ أو ثوبٍ أو دفن لغير القبلة، أو لحقه سيل، أو نداوة، أو وقع في القبر خاتم، أو متاع إلا أن ضمنه الوارث، ولو دفن بلا كفن لا ينبش، وكذا لو كفن في ثوب حرير.

قال في الروضة: وفيه نظر، ولو ابتلع لؤلؤًا له أو لغيره في حياته فالأصح إن كان المال لغيره نبش وشق وأخرج وإلا فلا، ولو ماتت وفي جوفها ولد يرجى حياته شق جوفها وأخرج وإلا لم يشق، قيل يوضع عليه شيء حتى يموت وهو غلط، ولا تدفن المرأة ما لم تسكن حركة الجنين.

فائدة ظريفة: رأيت في كثير من التواريخ عن بعضهم أنه قال: مررت بقبر وعليه مكتوب: هذا قبر أو أنا قبر من إذا شاء حبس الريح، وإذا شاء أرسلها، فعظم عندي ذلك ووقفت متعجبًا

---

(١) صحيح مسلم: ٤/٤٣.

منه، وإذا أمامه قبر مكتوب عليه: كذب العاض بظر أمه لا تظن أنه سليمان بن داود، بل هو ابن حداد، فلم أر قبلهما قبرين يتشاتمان وانصرفت عنهما بطرفة ظريفة، انتهى.

فائدة: اشتهر بـ: «المقابري»: يحيى بن أيوب العابد / البغدادي وعرف بـ: «المقابري» لأنه كان يتعبد في المقابر، ولد سنة سبع وخمسين ومائة، وتوفي في ربيع الأول سنة أربع وثلاثين ومائتين، سمع شريكًا القاضي، وإسماعيل بن علية، وغيرهما وروى عنه أحمد بن حنبل، ومسلم بن الحجاج، والبغوي وغيرهم، وكان ثقة ورعًا صالحًا، وروى الخطيب عن العباس بن محمد عن أبيه قال: مررت بالمقابر فسمعت همهمة فاتبعت الأثر فإذا بيحيى بن أيوب في حفرة وهو يبكي ويدعو ويقول: يا قرة عين المطيعين وقرة عين العاصين، ولم لا تكون قرة عين المطيعين وأنت مننت عليهم بالطاعة، ولم لا تكون قرة عين العاصين وأنت سترت عليهم الذنوب وهو يعاود البكاء، قال: فغلبني البكاء ففطن لي فقال لي: تعال لعل الله إنما بعث بك لخير.

كان بعض الصالحين يكثر الجلوس بين القبور، فسئل عن ذلك؟ فقال: أجلس إلى قوم إن حضرت عندهم لا يؤذوني، وإن غبت عنهم لا يغتابوني.

فائدة: يقال: إن الشيخ الصالح: إبراهيم بن هصاد بن شداد الجعبري المشهور لمّا مرض مرض موته، أمر أن يخرج به إلى مكان مدفنه، وهو ظاهر القاهرة بالحسينية وكان قد أمر بحفر قبره، فلما وصل إليه قال له: يا قبير جاءك دُبَير، وتوفي بعد ذلك بيوم واحد، سنة سبع وثمانين وستمائة، ولأصحابه / فيه مغالاة وعقيدة، وكل من يعرفه يعظمه ويثني عليه، وعليه مآخذ في عباراته، قال الشيخ أبو حيان: رأيته بالقاهرة وحضرت مجلسه أنا وابن مكي وجرت لنا معه حكاية وكان يجلس للعوام ويذكرهم.

فائدة: حكى ابن خلكان في تاريخه عن زائدة بن قدامة قال: تبعت الأعمش يومًا فأتى المقابر فدخل في قبر محفور فاضطجع فيه ثم خرج منه وهو ينفض التراب عن رأسه ويقول: واضيق مسكناه[1]، توفي رحمه الله في شهر ربيع الأول سنة ثمان وأربعين ومائة من الهجرة، وقيل: سنة تسع وأربعين، مولده سنة ستين من الهجرة وقيل: إنه ولد يوم قتل الحسين بن علي رضي الله تعالى عنه، وذلك يوم عاشوراء سنة إحدى وستين، وعده ابن قتيبة في كتاب المعارف ممن حملت به أمه سبعة أشهر.

(١) وفيات الأعيان لابن خلكان: ٢/١٣٨.

طريفة: حكى الصلاح الصفدي في تاريخه قال: حكى لي القاضي شهاب الدين بن فضل الله قال: اجتزت بتربة الصاحب تاج الدين بن ضنًّا فرأيت إلى جانبها مكتبًا للأيتام، وهم يكتبون القرآن في ألواحهم، فإذا أرادوا مسحها غسلوا الألواح، وسكبوا ذلك على قبره، فسألت عن ذلك؟ فقيل لي: هذا شرط الواقف[1].

وهذا قصد حسن وعقيدة جميلة، وتاج الدين هذا هو محمد بن الوزير بهاء الدين علي بن سليمان الغزي، كان رئيس عصره وفريد مصره ذا صون وسؤدد، ومكارم أخلاق، وشكل حسن وبزة فاخرة إلى الغاية، وفيه تواضع ومحبة للفقراء والصلحاء، وهو الذى اشترى الآثار النبوية بستين ألف درهم، توفي سنة سبع وسبعمائة، وولد سنة أربعين وستمائة رحمه الله تعالى.

فائدة: في ذكر بعض أبيات من الشعر فيها لفظ «القبر» ومعانيها مختلفة في أنواع شتى قال: قيس بن الملوح بن مزاحم بن قيس مجنون بني عامر، قال في الأغاني: ولم يكن مجنونًا وإنما كانت به لوثة كلوثة أبي حية النميري[2]:

عَرضتُ على قلبي العزاءَ فقال لي ... من الآن فايأسْ لا أعزّك عن صبر
إذا بان من تهوى وأصبح نائيًا ... فلا شيء أجدَى من حلولك في القبر

وقال: قيس بن ذريح - بالذال المعجمة وأظنها مفتوحة والحاء المهملة - الكناني صاحب لبني - بضم اللام - وهي في اللغة: المتعة، وفي الحديث: «إن للشيطان بيتًا يقال له: لبني[3]».

ذكر المعري في كتاب المقصور والمدود:

تعلق روحي روحها قبل خلقها ... ومن بعد ما كنا نطافًا وفي المهد
فزاد كما زدنا وأصبح ناميًا ... وليس إذا متنا بمنقصم العهد
ولكنه باق على كل حالة ... وزائرنا في ظلمة القبر واللحد

ليلى بنت عبدالله الأخيلية التى إن لم تتقدم على الخنساء لم تقدم الخنساء عليها عند الحذاق من علماء هذا الفن:

لعمرك ما بالموت عار على الفتى ... إذا لم تصبه في الحياة المعاير
وما أحد حيٌ وإن عاش سالمًا ... بأخلد ممن غيبته المقابر

هما من أبيات ترثي بهما توبة بن الحمير، ولها فيه ما هو أشهر من قفا نبك وأصفى من الإبريز

(١) لم يؤثر هذا الشرط عن السلف الصالح، فالأولى ترك ذلك.
(٢) الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني: ٢/٢.
(٣) لم أجده.

بعد الإخلاص والسبك، وليس هذا موضع وصفها.

وقال القاضي ابن الربعي التميمي:

يا قبر لا تُظْلم عليه فطالما | جلى بغُرته دجى الإظلامِ
أعجب لقبر قد حوى | ليثًا وبحر ندى وبدر تمامِ

وقال الشريف الرضي يرثي عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، وهو من العجائب ومن الشريف غاية الإنصاف:

يا بن عبد العزيز لو بكت العين | فتى من أمية لبكيتك
غير أني أقول إنك قد طبت | وإن لم تطب ولم يزك بيتك
أنت نزهتنا عن السب والقذف | فلو أمكن الجزاء جزيتك
ولو أني أتيت قبرك لاستحييت | من أن أُرى وما حَيَّيتُك
دير سمعان فيك مأوى أبي حفص | فيؤذي لو أني أويتك
أنت بالذكر بين عيني وقلبي | إن تدانيت منك أو أن نأيتك

وهي أكبر من هذا.

وقال أبو المهدي غالب بن عبد القدوس التميمي، وقال ابن حزم فى الجمهرة اسمه: عبد المؤمن[1]، وقيل: اسمه الأزهر، وهو أول من استفرغ شعره في وصف الخمر من شعراء الإسلام:

اجعلوا إن مت يومًا كفني | ورق الكرم وقبري المعصرةْ
أنني أرجو من الله غدا | بعد شرب الراح حُسن المغفرةْ

اللهم يا من لا تنفعه الطاعة ولا تضره المعصية، اغفر له وتجاوز عنه وعنا، فقد قلت وأنت أصدق القائلين، على لسان نبيك الصادق المصدوق: أنا عند ظن عبدي بي وأنت أكرم الأكرمين، وأرحم الأرحمين، غافر الذنب.

وكان هذا الشاعر ظريفًا مطبوعًا أدرك الدولتين، وكان جزل الشعر، حسن الألفاظ، لطيف

(١) جمهرة أنساب العرب لابن حزم، ص ٢١٦.

المعاني، إنما أمات ذكره وأخمله بعده من بلاد العرب ومقامه بسجستان وخراسان وانهماكه على اللذات، سامحه الله مات في حدود الثمانين ومائة.

وقال متمم بن نويرة في أخيه مالك بن العوار الملقب بالجفون - بالجيم - لكثرة شعره:

وكنا كندماني جذيمة حقبة ... من الدهر حتى قيل لن يتصدعا
فلما تفرقنا كأني ومالكًا ... لطول اجتماع لم نبت ليلة معًا
أقول وقد طار السنا في ذبابه ... وجوّن يسيح الماء حتى تربعا
سقى الله أرضًا حلها قبر مالك ... ذهاب الغوادي الممرعات وأمرعا
تحية مني وإن كان نائيًا ... وأمسى ترابًا فوقه الأرض بلقعا

له فيه أيضًا:

لقد لامني عند القبور على البكاء ... رفيقي لتذراف الدموع السوافك
وقال: أتبكي كل قبر رأيته ... لقبر ثوى بين اللوى فالدكادك
فقلت له: إن الشجى يبعث الشجى ... دعوني فهذا كله قبر مالك

وأخبار هذا الرجل وأشعار أخيه فيه قد اشتهرت وذاعت وشاعت سيرتها بين الأدباء وسارت، وحاصل الأمر أن خالد بن الوليد رضي الله عنه قتله أيام الردة بسبب يطول شرحه، وفي المثل: «فتى ولا كمالك». هو مالك هذا، ذكره جماعة.

قال أبو عبيد في «أمثاله»: لما ذكر المثل: لا أدري من مالك هذا[1]، وقد ذكر هو حديثه في موضعين من أمثاله، إلا أنه غفل عن أن المثل قيل فيه.

وقيل لأخيه متمم - وكان أعور -: ما بلغ من وَجْدِك على أخيك مالك؟ فقال: أصبت بأحدى عيني فما قطرت منها قطرة عشرين سنة، فلما قتل أخي استهلت فما ترقي، وأخبارهما لا يسعها هذا المكان، مع أنها كثيرة الشهرة فلنكتف بهذه الإثارة.

الحسين بن مطير الأسدي:

ألما على معن وقولا لقبره ... سقتك الغوادي مربعا ثم مربعا
فيا قبر معن أنت أول حفرة ... من الأرض خطت للمكارم مضجعًا
ويا قبر معن كيف واريت جوده ... وقد كان منه البر والبحر مترعا

(١) كتاب الأمثال لأبي عبيد القاسم بن سلام: ص ١٣٥.

بلى قد وسعت الجود والجود ميت ولو كان حيا ضقت حتى تصدعا

أبو تمام حبيب الطائي يرثي محمد بن حميد الطائي:

سقى الغيث غيثًا وارت الأرض شخصه وإن لم يكن فيه سحاب ولا قطر
وكيف احتمال للسحاب صنيعه بإسقائه قبرًا وفي لحده البحر
مضى طاهر الأثواب لم تبق بقعة غداة ثوى إلا اشتهت أنها قبر
تردى ثياب الموت حمرًا فما أتى لها الليل إلا وهي من سندس خضر

أراد: وهي خضر من سندس، فقدم وأخر، ولم يجعل «خضر» نعتًا لسندس، وأولها:

كذا فليجل الخطب وليفدح الأمر وليس لعين لم يفض ماؤها عذر

قال أبو دلف لأبي تمام: أنشدني من قولك في محمد بن حميد، فأنشده الأبيات السابقة وهي طويلة وطائلة، فقال أبو دلف: والله لوددت أنها قيلت فيّ، فقال أبو تمام: لا بل أفدي الأمير بنفسي، وأكون المقدم قبله، فقال أبو دلف: إنه لم يمت من رثي بمثل هذا الشعر.

ثم هذا وقت الشروع في مقصود كتابة هذه الورقات، وتعليق ما اخترته مما وجدته على القبور من الكتابات، ولا ألتزم في ذلك ترتيبًا، بل هو على حسب حال الكتابة، من ذكر متأخر على متقدم، وتقديم مأمور على أمير، وسبق جاهل على عالم، وغبي على عارف، ونحو ذلك فإن المقصود تخليد ذكرهم في الأوراق، وحفظ أسمائهم والاطلاع على حال من دفن في هذه المقبرة المباركة من أهلها والواردين عليها، فإن الأحجار معرضة لزوال ما عليها من الكتابة، إما بطول الزمن أو بغير ذلك من الأسباب، وألتزم ضبط ما أجده على الحجر من العبارة، وذكر المطلوب من ذلك معرضًا عن غيره.

وقد جرت عادة من يكتب هذه الأحجار أن يبتدئ بعد البسملة بذكر آية من كتاب الله: القرآن العزيز، أو آيات مناسبة للموت، أو لحال ذلك الميت بخصوصية فيه.

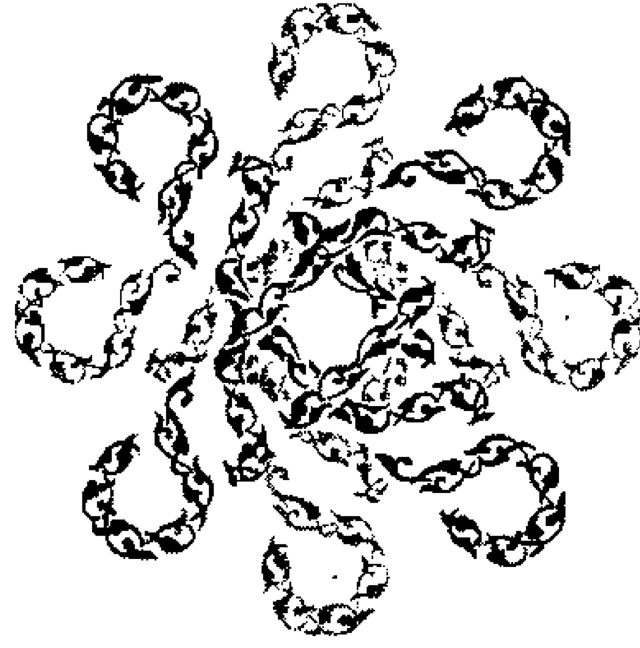
وقد رأيت في كتاب صيقل الفهم للراغب ما صورته: أن بعضهم قال: كنت عند / الصاحب بن عباد وعنده علوي شامي يخبره بعجائب ما رأى، وعجائب ما شاهد، وذكر من ذلك أنه قال: رأيت قبرًا بفلسطين وعليه مكتوب: ﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌاْ عَظِيمٌ ۝٦٧ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾[1] انتهى.

وفي هذه المقبرة الشريفة التي نحن بصدد ذكرها من الأحجار التي مكتوب عليها هذه الآية

(١) سورة ص، آية: ٦٧-٦٨.

الكريمة العظيمة مالا يحصى كثرة، بالخط الكوفي الأول، والخط المولد المحسن معًا، والذي أظنه أن سبب ذكر ذلك في مجلس الصاحب المذكور إنما هو لشدة الاستحسان وتعجبًا من مناسبتها لذلك والله أعلم من المقصود، والله المحمود.

فمن الأحجار التي وجدتها في هذه المقبرة:



١. ملك عدن، أبو موسى عمران بن سبأ الهمداني

حجر مكتوب عليه بخط حسن عربي ما صفته بعد البسملة والآية التي أولها: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾[١]، هذا مشهد الملك الأجل الأوحد، الأمين المكرم، الظهير المؤيد النصير سيف الإمام، ركن الإسلام، عماد الدين، نظام المؤمنين، عظيم اليمن، فريد الزمن ذي المجدين، داعي أمير المؤمنين أبي موسى عمران بن المعظم المتوج المكين، داعي أمير المؤمنين أبي حمير سبأ بن أبي السعود بن الربيع بن العباس بن موسى الكرم العامر الهمداني، تغمده الله بالرحمة والرضوان، وبوأه منازل الجنان، توفي بمستقر ملكه مدينة عدن، يوم الجمعة لتسع خلون من شهر ربيع الآخر من سنة إحدى وستين وخمسمائة، وكان / مع ما خوله الله من علو الشأن، وعظيم السلطان شديد الغرام لحج بيت الله الحرام، واخترمته المنية دون المرام وعلم الله صحة نيته فاختار لتربته شعبة رحمته، بعد أن وقف به بعرفات والمشعر الحرام، وصُلِّيَ عليه خلف المقام، والخلق جميع الحاج في ذلك العام[٢]، انتهى ما وجدته على الحجر، ونقلته حرفًا حرفًا، هذا الملك المذكور هو من جملة ملوك عدن، كما هو مكتوب على الحجر السابق، وذكر الخزرجي عنه أنه يكنى بأبي محمد، وقال: كان ملكًا جوادًا كريمًا فلذا كان يلقب بالمكرم واقتفى سيرة أبيه، مع زيادة لائقة وأخلاق رائقة ومدحه عدة من الشعراء وكانت وفاة أبيه في حصن الدملوه سنة ثمان وأربعين، وقيل: سنة تسع وأربعين وخمسمائة، وقيل: غير ذلك، ومن جملة من مدحه القاضي يحيى بن أحمد بن يحيى، بعدة من القصائد المختارات، وأثنى عليه الفقيه عماره في مفيده، ولله در الداعي أعني عمران بن محمد ما أغزر ديمة جوده، وأكرم سعة عوده، وأكثر وحشته في هذه الطريق من النظراء أقل مؤانسته فيها من الملوك والأمراء، ولا يكذب من قال: إن الجود والوفاء ملةٌ، عمران خاتمها، بل حاتمها – بالحاء المهملة –، ومن مُدّاحِه الأديب الفاضل أبو بكر بن أحمد العبدي المذكور في هذه الترجمة مدحه بعدة قصائد، من مختارها قصيدة أولها:

العز في صهوات خيل الداعي   متمالمرات يـوم يدعو الداعي

يقول فيها:

ملك الملوك عظيمها عمرانها   والداعي بن الداعي بن الداعي

---

(١) سورة الرحمن: آية: ٢٦.

(٢) من الأمور المبتدعة في الدين الحج بالميت وطوافه حول الكعبة، إذ لم يرد بذلك أثر.

نسب كإشراق الصباح يمده إشراق بيض فضائل ومساعي
ملك زربعي النجاد مؤيَّد الأنصار رحب الباع رحب الباع

وهي طويلة طائلة، وله فيها أخرى يمدحه بها، أولها:

ما البرق من ظلم الغمائم أو مضى لكنها قضب العزائم تنتضبا
أمضى صوارمنا مكرم صارمًا إن المهند كيف ما استنضى مضى

وأعلم أن اليمن الذي ملكه هذا الرجل قال فيه الجوهري في الصحاح[1]: ما لفظه: اليمن بلاد للعرب، والنسبة إليها يمني ويمان - مخففة - والألف عوض من ياء النسب فلا يجتمعان.

قال سيبويه: وبعضهم يقول: يماني بالتشديد.

قال أمية بن خلف:

يمانيًا يظل يشد كيرًا وينفخ دائمًا لهب الشواظ

وقال: أيمنَ الرجلُ ويَمَّن وَيامَنَ: إذا أتى اليمن، وتيمن تنسَّب إلى اليمن، والتيمني أفق اليمن.

وقد جمع الكميت اليَمنَ على أيامن في قوله:

ورأت قضاعة في الأيا مِنِ رَأيَ مثبور وثابر

يعني انتسابها إلى اليمن، كأنه جمع اليمن على أيمن، ثم على أيامن، مثل زمن وأزمن[2].

فائدة: وأما عَدَنَ التي هي مستقر ملكه، فقال الجوهري أيضًا: إنها بلد باليمن بعد أن ذكر في أول هذه المادة أن عَدَنَ بمعنى: أقام[3]، فقيل إن تبع كان يحبس في هذا المكان أرباب الجرائم الكبار، والذنوب العظام، فتطول إقامتهم به فقيل للموضع عدن، أي لطول الإقامة به، وقيل: إنه عدن بن عدنان بن أدد، وكذلك «أبين»، واختلفوا في أبين، وهو على وزن أحمر، وقد تكسر أوله.

وذكره سيبويه في الأمثلة بكسر الهمزة، ولا يعرف أهل اليمن الآن غير الفتح.

وحكى أبو حاتم قال: سألنا أبا عبيدة: كيف تقول: عدن أَبين أو إبين؟ فقال: أَبين وإبين معًا.

(١) الصحاح: ٢٢١٩/٦ مادة (يمن).
(٢) الصحاح: ٢٢٢٠/٦ مادة (يمن).
(٣) الصحاح: ٢١٦٢/٢ مادة (عدن).

قال ياقوت: وهو مخلاف باليمن، ومنه عدن[1].

وقال عمارة: أبين موضع في جبل عدن، منه الفقيه نعيم المعروف بـ: «عشري اليمن»، لأنه كان يعرف عشرة فنون.

ومنه أيضًا الأديب أبو بكر العيدي بكسر العين المهملة الذي يقول:

ليت ساري المُزن من وادي منى ... بان عن عيني فيسقي أَبْيَنَا

واستهلت الرقيطا أدْمعُ ... منه تستضحك تلك الدِّمنا

فكسا البطحاء وشيًا أخضر ... وأعاد الجو نوًا أدكنا

أيمن الرمل وما علقت من ... أيمن الرحلة إلا الأيمنا

وطن اللهو الذي جر الصبى ... فيه أذيال الهوى مستوطنا

تلك أرض لم أزل صبًا بها ... هائمًا في حبها مرتهنا

هي ألوَتْ ما يمنّيني الهوى ... برباها لا اللوى والمنحنا

ما أرق هذه الأبيات وأسبكها لو سلمت من عقوق وادي منى، شرفه الله وكرمه الله وزاده شرفًا وعزًا وإن كان الشخص / لا لوم عليه في حبه وطنه وطلبه السقيا له، ولكن على غير هذا الوجه، فإنه لو سأل الله تعالى في ذلك الموضع الشريف أن يسقي وطنه وأهله، كما سقي هذا المحل، كان يكون حسنًا وقمنٌ أن يستجاب له، وإنما جناس الاشتقاق بين «بان وأبين»، أذهل عقله وأذهب قطعة من دينه حتى تمنى زوال السقيا عن وادي منى وذهابها إلى وطنه وبلده ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وها هنا فائدة: وهي أن هذا الأديب ينسب إلى «عيدي» - بالكسر- وهي قبيلة يقال: إنه عيدي بن ندعي بن مهره بن عيدان التي تنسب إليها الإبل العيدية، هكذا قاله ياقوت في المعجم الكبير[2]، ومنه نقلت، أما الجوهري فنسب الإبل المذكورة إلى فحل منجب قال: وهي نوق من كرام النجائب، ذكره في الكلام على قول الشاعر[3]:

يطوي ابن سلمى بها عن راكب بُعدًا ... عِيدية أُرهنت فيها الدنانير

---

(١) معجم البلدان، لياقوت الحموي: ٤/١٠٠.

(٢) معجم البلدان: ١/١١٠.

(٣) ذكره الجوهري في الصحاح: ١/٥١٢ وقال: إنه رداد الكلبي.

في مادة «عود[1]» والله أعلم.

وبالجملة فعدن بلدة شهيرة من قديم الزمان وإلى اليوم، وهي اليوم من أشهر مدن اليمن، وهي بلدة مشحونة بالتجارة، ويرد عليها من الهند، ومن الشحر، ومن ظفار، ومن هرموز، ومن مقديشو وغيرها من البلاد البعيدة والقريبة ما لا يحصى كثرة، وعمارتها عمارة جديدة حسنة، ومتجرها مشهور بالربح والفائدة / العظيمة والكسب الجليل، وعلى كل حال فهي ثغر حسن عظيم، وبلد شهير قديم، لولا أن بها حرًا عظيمًا لا يلبس عليه الثياب، ولا يقوى عليه إلا من جلده كجلد الشباب وقد ذكر الشيخ العارف القطب[2] سيدي عبد الله اليافعي نفع الله به في تاريخه أن بعض المشايخ الصلحاء وأظنه الشيخ محمد النائح، قال فيها:

وفي عدن حر كأن لهيبه من النار ... في أحشائها المرض لائح
أدافع عني بالمراوح جيشه ... فيا ضعف من يحمي قفاه المراوح

المراوح: جمع مروحة - بكسر الميم - وهي: الآلة التي يتروح بها - وبفتح الميم - هو: الموضع الكثير الريح، قال قائل يصف ناقة:

كأن راكبها غصن تروحه ... إذا تدلت به أو شارب ثمل

هذا بيت قديم لم أعلم قائله، وقد تمثل به عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه وهو راكب على راحلة والي عدن، وأشار عمر بن أبي ربيعة المخزومي الشاعر المشهور في قوله[3]:

هيهات من أمة الوهاب منزلنا ... إذا نزلنا بسيف البحر من عدن
وجاورت أهل أجياد فليس لها ... إلا التذكر أو حظ من الحزن

وروى في الأغاني هذا البيت على غير هذه الصفة وهو:

واختر لأهلك أجيادًا فليس لها ... إلا التذكر أو حظ من الحزن
لو أنها أبصرت بالجذع عبرته ... لأن يغرد قمري على فنن
إذا رأت غير ما ظنت بصاحبها ... وأيقنت أن لحجًا ليس من وطن /
ما أنس لا أنس يوم الخيف موقفها ... وموقفي وكلانا ثم ذو شجن
وقولها للثريا وهي باكية ... والدمع منها على الخدين ذو سنن
بالله قولي له في غير معتبة ... ماذا أردت بطول المكث في اليمن

---

(١) الصحاح: ١/٥١٢.

(٢) هذه أوصاف ومراتب عند الصوفية، ولو نزه المؤلف كتابه عنها لكان حسنًا.

(٣) هذه الأبيات في كتاب الأغاني: ١/١١١.

إن كنت حاولت ذنبًا أو ظفرت بها فما أخذت بترك الحج من ثمن

وفي هذه الأبيات اختلاف كثير في تقديم بعض الأبيات على بعض، وفي اختلاف بعض ألفاظها، وهذا الذي ذكرته رواية الأغاني.

وذكر أن سبب هذه الأبيات أن الحارث أخا عمر بن أبي ربيعة نهاه عن قول الشعر فأبى أن يقبل منه فأعطاه ألف دينار على ذلك، فأخذ المال وخرج إلى أخواله بلحج، وأبين مخافة أن يهيجه مقامه بمكة على قول الشعر، فطرب يومًا فقال الأبيات المذكورة فسارت حتى سمعها أخوه الحارث فقال: هذا والله شعر عمر قد فتك وغدر[١] ولهذه الأبيات قصص كثيرة.

وممن اشتهر بالنسبة إلى عدن، البلدة المذكورة: محمد بن عبدويه بن الحسن العدني[٢].

قال السمعاني: كان فقيهًا فاضلًا دينًا، زاهدًا، حسن السيرة، قدم ببغداد وتفقه على الشيخ أبي إسحاق، وسمع ببغداد، وحدث باليمن، نقل عنه صاحب البيان في أول كتاب الاحتراز، ولم يذكر السمعاني وفاته ولا ابن الصلاح / لما ذكره فى طبقاته[٣].

وممن كان بعدن من العلماء، وإن لم ينسب إليها، الفقيه محمد بن أحمد البصال - بالباء الموحدة - كان صاحب كشف ومشاهدات[٤] وعلم، مات بعدن سنة خمس وأربعين وسبعمائة.

ومنهم ابن سفيان، كان فقيهًا صالحًا انتفع به خلائق، توفي بها سنة أربع وأربعين وسبعمائة[٥].

ومنهم أبو العباس أحمد بن علي الحرازي كان عالماً بالفقه والقرآن، تولى قضاء عدن، ومات بها سنة ثماني عشرة وسبعمائة.

---

(١) الأغانى لأبي الفرج الأصفهاني: ١/١١٢.

(٢) انظر الأنساب للسمعاني: ٩/٢٤٩.

(٣) طبقات ابن الصلاح: ١/٢٢٣، وطبقات الأسنوي: ٢/٩٢.

(٤) هذه أوصاف تطلق على الصوفية، ولهم فيها اصطلاحات.

(٥) ترجمته فى طبقات الأسنوي: ٢/٣٢٧.

٢. عَلَم أم منصور بن فاتك اليماني

ومنها حجر مكتوب عليه بخط حسن يشبه خط الحجر الأول، وأظن، والله أعلم، أنه هو بعد البسملة والآية التي أولها ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ﴾[1] ما صورته:

هذا قبر الحرة الفاضلة، الزكية الرضية، وحيدة الزمن سيدة ملوك اليمن، كاملة العرب والعجم، والدة الملك المنتخب، المسماه «**علم**»، قدس الله روحها ورحمها، توفيت بأرض الحصيب[2] يوم الإثنين ثالث عشر من شهر رمضان سنة ست وأربعين وخمسمائة، ونقلت إلى مكة المشرفة، في ذي الحجة سنة سبع وأربعين وخمسمائة – رحمها الله، ورحم من ترحم عليها، وصلى الله على محمد وسلم، وعلى جوانب الحجر آيات من سورة «هل أتى»، انتهى.

عَلَمْ هذه هي: أم منصور بن فاتك / وتوفيت بزبيد محل ملكها سنة خمس وأربعين وخمسمائة، كما قاله جماعة من مؤرخي اليمن، وولدها هو منصور بن فاتك بن جياش بن نجاح، ملك اليمن، وكان أبوه فاتك ملكًا سعيدًا حليمًا رشيدًا، ولد سنة اثنين وثمانين وأربعمائة، وفي ليلة ميلاده ولي أبوه جياش بن نجاح الحبشي الملك في زبيد وسائر التهايم، ولما نشأ علمه أبوه وأدبه وثقفه وهذبه، حتى صار من أكمل الرجال وأعقلهم وأشدهم بأسًا، ولي الملك بعد أبيه، وتوفي في ذي الحجة سنة ثمان وتسعين وأربعمائة، وقيل في رمضان سنة خمسمائة، وكان لجياش عدة أولاد، أحدهم فاتك المذكور، وإبراهيم وعبد الواحد ومعارك، ومنصور والذخيرة، فحالف إبراهيم على أخيه فاتك لما ولي اليمن، وكذا عبد الواحد، وكانت العشائر تحبه، فحصل بينهم قتال شديد، وظفر فاتك بعبد الواحد أخيه، فعفى عنه وأطلقه وأكرمه، ولم تطل مدة فاتك في الملك وتوفي سنة ثلاث وخمسمائة، وخلف في الملك بعده ولده منصور بن فاتك المذكور، ولد علم المذكورة، وكان يومئذ صغيرًا دون البلوغ فقام بدولته عبيد أبيه.

واعلم: أن «عَلَمْ» – بالتحريك – يطلق في اللغة على العلامة، وعلى الجبل.

قال جرير:

*** إذا قطعن علماً بدا علم ***

وعلى «علم الثوب» وعلى «الدابة» فيكون المراد من التسمية. / أحد هذه الأشياء،

---

(١) سورة التوبة: آية: ٢١.

(٢) الحصيب – مصغر – اسم الوادي الذي فيه «زَبِيدْ» باليمن. معجم البلدان: ٢/٢٦٦.

وبعضهم يقول: إن عَلَمْ، عَلَمٌ على جبل مخصوص في بلاد بني عامر[1] وينشد قول المجنون:

خليلي لا والله لا أملك البكاء   إذا علم من أرض نجد بدا ليا

وقالت الخنساء بنت عمرو بن الشريد السلمي في أخيها:

وإن صخرًا لتأتم الهداة به   كأنه علمٌ في رأسه نار

جوّابُ قاصية حزّاز ناصية   عقاد ألوية للخيل جرار

حامي الحقيقة محمود الخليقة   مهدي الطريقة نفّاع وضرار

وإن صخرًا لمولانا وسيدنا   وإن صخراً إذ لم نُسق لنحّار

وقد عاب العسكري في بعض تصانيفه البيت الثاني من هذه الأبيات وذلك على قاعدة العسكري المعروفة، وعادته المألوفة، في تنقيصه لفضل الفضلاء وازدرائه لفعل النبهاء العقلاء سامح الله لنا وله، وعفا وتجاوز ما غفل به كل واحد وهفا، نعم قد ينكر على من نظم صفة الحسن في مثل هذه الأبيات الرائقة قولها: «في رأسه نار» وهي تشير به إلى العلم الذي شبهت به صخرًا، فصار كأن صخرًا في رأسه نار، وفيه بعض شيء من بشاعة اللفظ، ولنا عن هذا أجوبة كثيرة، ولهذا المعنى احترزت في قولي، من جملة قصيدة كتبتها إلى بعض ملوك أهل هذا العصر:

هل العلم العالي الذي في علوه /   من الله نور للبرية هاديًا

فأبدلت النار بالنور، وحصل المعنى المقصود منها، وهو طلب الهداية، فسلم البيت من ذلك الاعتراض، ولكن بين بيت الخنساء وبين هذا البيت مثل ما بين أوج العلم وحضيضه، وأين تلك السلاسة التي في بيتها والجزالة التي في نظمها، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

ولو كان النساء كمن سمعنا   لفضلت النساء على الرجال

وذكرت قول جمال الدين بن نباتة في شخص اسمه «علم» ويخاطب شخصًا رآه خارجًا من داره:

رأيت فتى من باب دارك خارجًا   فأذكرني بيتًا قديمًا شجانيًا

خليلي لا والله لا أملك البكاء   إذا علم من أرض نجد بدا ليا

قال شمس الدين الأسبحي في القاضي علم الدين صالح المصري لما وصل خبر وفاته إلى

---

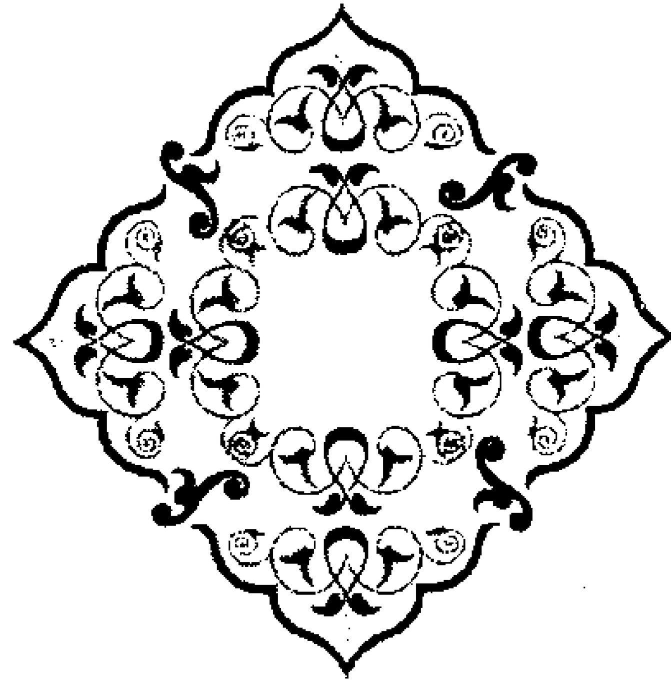
(١) معجم البلدان: ١٤٧/٤.

مكة، وكان يقوم بحال بني ظهيرة ويحبهم ويحبونه:

بكى علم الدين الظهيرات خفية ... ولم يظهروا ما كابدوه من الألم

وراموا خفا نار عليه بزعمهم ... فقلت أتخفي؟ وهي نار على علم

والكلام في هذا يسترسل ويطول.



٣. الشيخ عبد الرحمن بن عبد الكريم ابن هوازن القشيري

ومنها حجر مكتوب عليه بالخط الكوفي القديم بعد البسملة وقوله تعالى ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾[١]... الآية ما صورته:

هذا: قبر الشيخ الإمام الزاهد أبو / منصور بن عبد الكريم بن هوازن القشيري، نور الله حضرته، توفي في السادس من شعبان سنة اثنين وثمانين وأربعمائة، وصلى الله على النبي محمد وآله، انتهى.

هذا الرجل اسمه: عبد الرحمن وهو ابن الأستاذ أبي القاسم عبد الكريم بن هوزان بن عبد الملك الإمام المشهور، والعالم المذكور، الأصولي المتكلم المفسر، لسان عصره، وسيد وقته وسر الله في خلقه، مقدم الطائفة، ومدار الحقيقة، ومقصود سالك الطريقة[٢]، وأما ولده صاحب القبر فكان فاضلًا أديبًا ورعًا، يستوعب الوقت بالخلوة والتلاوة، سمع الكثير وكتب الكثير وخُرجت له فوائد قُرئت عليه ولما توفيت والدته الست الفاضلة: فاطمة سنة ثمانين، حج وتوفي بمكة، في التاريخ السابق، وهو سنة إثنتان وثمانون، قاله ابن الصلاح[٣] هو أحد ستة إخوة كلهم أولاد أبي القاسم المذكور، أشهرهم أبو نصر عبد الرحيم صاحب «الرسالة» وهو أشبه أولاد أبيه به، نقل عنه الرافعي في كتاب النذر.

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٨٥.

(٢) يعني أنه كان شيخ طائفة من الصوفية في وقته، ولو ترك المصنف – عفا الله عنه – هذه المبالغات واكتفى بالترجمة له لكان حسنًا.

(٣) طبقات فقهاء الشافعية لابن الصلاح: ١/٥٣٣.

٤. أحمد بن علي السبكي

ومنها حجر إلى جانب القبر السابق مكتوب عليه بالعربي بعد البسملة وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا﴾(١)... الآية، ما صورته:

هذا قبر الفقير إلى الله تعالى الشيخ الإمام العالم العلامة شيخ الإسلام بهاء الدين أحمد ابن الشيخ الإمام العالم العلامة تقي الدين علي السبكي الشافعي(٢) تغمده الله / برحمته وأسكنه فسيح جنته، توفي إلى رحمة الله تعالى يوم الخميس سابع شهر رجب الفرد سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة، والحمد لله وحده، انتهى.

هذا الرجل قد اشتهر فضله ورئاسته وسؤدده، فلا يخفى ذلك على أحد وانتشر حاله الجميل، وقدره الجليل، وكرمه الفائض فلا يحصره الحد، ولا يحصيه العد، وهو وأخوه القاضي تاج الدين عبد الوهاب:

كالفرقدين إذا تأمل ناظر　　　لم يعد موضع فرقد عن فرقد

حازا من العلوم النفيسة أحسنها وأسناها، وفازا من المكارم والفضائل بأجلها خطرًا وقدرًا، وأعلاها لله درّهما من فارسين غبرا في وجوه الفرسان وجالا في ميدان الفضائل، فلم يبرز أحد معهما في ذلك الميدان وما عسى أن أقول وأن أصف وفضائل أحمد لا تتناهى ولا تنصرف، وأما تعظيمه لأخيه المذكور وسعيه في مصالحه وما يتعلق به فشيء غريب، لم أسمع أنا عن أخ قبله بمثله، ولا علمت من بذل عمره لأخيه غيره، وناهيك ببذله، حج إلى بيت الله العتيق، في موسم سنة اثنين وسبعين وسبعمائة وجاور بها سنة ثلاث وسبعين وهو العام الذي مات فيه، وكان قد توجه لزيارة النبي ﷺ(٣) في ذلك / العام في قافلة كثيرة من أهل مكة وغيرهم، ومن جملتهم السيدة الجليلة الصالحة أم خليل خديجة بنت الشيخ الإمام العالم شهاب الدين أحمد النويري الهاشمي وهي جدتي لأبي، وكانت من الفضل والعلم بمكان شهير، ومن الدين والصلاح بمحل كبير خطير، فاتفق أنها بعثت إليه من الطريق بحلوى عقيدة وكتبت مع ذلك:

بعثت لكم بشيء من عقيدة　　　هديته لقلته فضيحه
ولكنا لنخبركم بأنا　　　عقيدة ودنا فيكم صحيحه

---

(١) سورة النساء، آية: ١٠٠.

(٢) ترجمته في الوفيات لابن رافع: ٣٨٨/٢، والوافي بالوفيات: ٢٤٦/٧.

(٣) الأولى أن يقول: لزيارة المسجد النبوي، للحديث الصحيح الوارد في ذلك: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد».

فأجابها بما لا أستحضره الآن، وكتبت إليه أيضًا بأبيات فأجابها عنها بقوله:

بركات أم المؤمنين خديجة ... عمت فواضلها وفاض نداها
ولها قصائد في النبي محمد ... ستنال في الجنات طيب جناها
فالله يقبلها ويشكر سعيها ... ويديم في طيب الهنا أخواها
ويعز بالإسلام هذا البيت إذ ... عمت مكارمه وطاب حلاها

وكتبت إليه بأبيات تمدحه بها على قافية «النون» فأجابها بأبيات على وزنها ورويها نقلتها هي والأبيات السابقة من خطه وأول أبياته:

أسعفتم بالفضل والإحسان ... وربحتم أجرًا عظيم الشأن
بقصيدة تحلو لدي كأنها ... أطوار أوطاري من الأوطان
وإذا أردت جوابكم فكأنني ... أهدي الحصى بدلًا من المرجان
يا أخت خير أخ وبنت ابن مضى ... والشمس منك تضيء والقمران
لو كان ست في النساء كذا لما ... فضل الرجال إذًا على النسوان
لا عيب فيكم غير أن حماكم ... يُنسي الغريب معاهد الأوطان

وهي طويلة، كانت هذه المرأة من سروات النساء، دينًا وعفة وكرمًا وطيبًا وعبادة كانت لها خلوات تقيم فيها الليالي الكثيرة للتعبّد، وكانت على طريقة عظيمة من ملازمة الذكر وحب الصالحين، وتترك ما عليه غالب النساء من حال النساء، وكانت قد اشتهرت بأم خليل الصوفية، وبينها وبين علماء عصرها وصلحائه مكاتبات ومحاورات لا يسعها هذا الموضع، وكان أخواها السيدان الجليلان العالمان الفاضلان شيخ الإسلام كمال الدين أبو الفضل الشافعي، وسيد القضاة نور الدين علي المالكي تغمدهما الله برضوانه، يبالغان في إكرامها غاية المبالغة ويتبركان بدعائها، ونظمها كثير، ولها في النبي ﷺ عدة قصائد منها قصيدة لاميّة أولها:

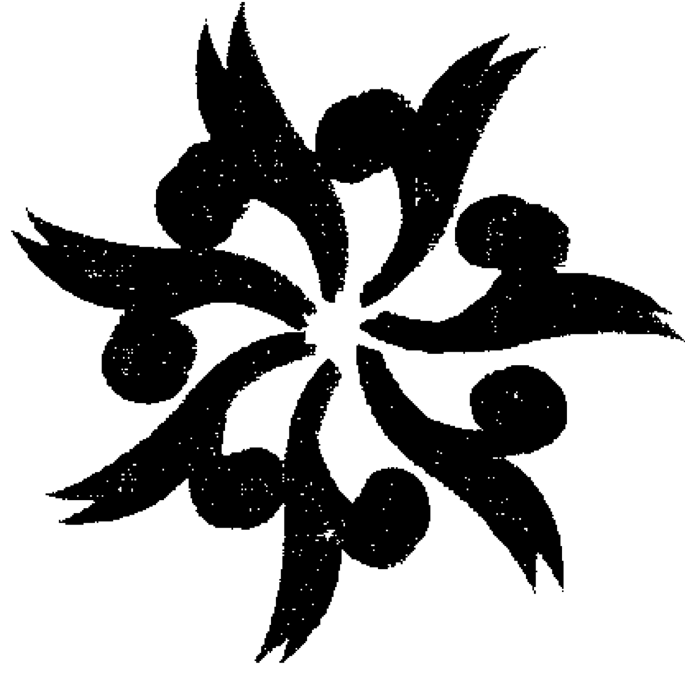
حمل الغرام عليَّ ما لا أحْمل ... فرثى لحالي من يلوم ويعذل

ولولا خوف التطويل لذكرت جملة من ذلك.

أما الشيخ بهاء الدين السبكي صاحب القبر فشهرته تغني عن وصفه، توفي في التاريخ السابق ودفن ضحوة ذلك اليوم، وفي ذلك الوقت من اليوم والشهر، توفي بمصر قاضي القضاة سراج الدين عمر الهندي الذي / اشتهر بالسراج الهندي، وهذا من عجائب الاتفاق فإنهما كانا

قاضيي العسكر في وقت، وهذا عالم كبيرٌ من الشافعية، وهذا عالم الحنفية رحمهما الله تعالى.

ومولد الشيخ بهاء الدين السبكي سنة تسع عشرة وسبعمائة، نقله بعض الأفاضل من خطه، وهو العام الذي ولد فيه الشيخ جمال الدين الإسنوي، وتوفي سنة اثنين وسبعين وسبعمائة، وكان السراج قد ولي القضاء عوضًا عن القاضي جمال الدين بن قاضي القضاة علاء الدين بن التركماني الحنفي، في شعبان سنة تسع وتسعين وسبعمائة، ودرس بجامع طولون وولي قضاء الحنفية عوضًا عن السراج صدر الدين محمد بن القاضي جمال الدين التركماني المذكور أولًا وكان يوم توليه يوم تطواف المحمل والقاهرة مزينة، وعمره لما وُلي إحدى وثلاثون سنة، وكان عمر ابنه حين ولي أربعًا وثلاثين سنة، وكان مولده سنة خمس عشرة وولي سنة تسع وأربعين.



٥. الفضيل بن عياض وأولاده

ومنها حجر عليه بعد البسملة: «اللهم نور السموات والأرض» نَوِّر لعبدك الفضيل بن عياض[١] ولولده أبو عبيدة، ولولد ولده عمر بن أبي عبيدة، نَوِّر لهم في قبورهم وألحقهم بنبيهم محمد ﷺ، وآنس وحدتهم وارحم ضرعتهم واجعلهم من الآمنين يوم الفزع الأكبر / يا أرحم الراحمين، انتهى.

هذا الرجل الكبير القدر، قد اشتهر اشتهارًا ليس به خفاء، ورسب في بحار المعارف لتحصيل الجواهر وما طفى، كان كثير العبادة، ملازم الطاعة، شديد الغرام بالإقامة في مكة المشرفة، والتعظيم لتلك الأماكن المشرفة المكرمة العظيمة.

قال الراغب في كتابه صيقل الفهم: إن الفضيل بن عياض قال: وضعت مكة للعبادة والتوبة، والحج والعمرة، وأعمال الآخرة، ولم توضع للتجارة ولا يغرنك أقوام اتخذوا فيها حوانيت ويقولون: نحن مجاورون، قد أعياهم الكسب في بلادهم فصاروا فيها تجارًا، كذبوا ما هم بمجاورين، إنما المجاور من هو مقيم للعبادة ولعمل الآخرة، فينفق من فضل الله ما آتاه الله لا يتكسب فيها، ولا يشغل نفسه بالكسب فيها ولئن ترجع إلى بلدك فتبيع وتشتري فيها وتحج في عشرين سنة حجة، أحب إليّ من أن تكون مقيمًا وتحج وتعتمر كل سنة وتشتري وتبيع فيها، انتهى كلامه.

وذكر أن في تلبية بعض أهل الجاهلية: جئناك للفصاحة، ولم نأت للرقاحة، والرقاحة – بفتح الراء والقاف وحاء مهملة – هي: الكسب والتجارة، يقال فلان يترقح لعياله أي يكتسب، وترقيح المال، صلاحه والقيام عليه.

وكان للفضيل ولد اسمه علي، قال أبو علي الرازي: صحبته ثلاثين سنة فما رأيته ضاحكًا ولا متبسماً إلا يوم مات ابنه علي / فسألته عن ذلك؟ فقال: إن الله أحب أمرًا فأجبته، قال العلماء: لم يكن عند الفضيل من الكمال ما يجمع به بين الرضا بقضاء الله وبين رحمة الابن كما فعل النبي ﷺ في قصة ولده إبراهيم فإنه لكماله جمع بين الرضى بقدر الله وبين رحمة الطفل، لما رآه يجود بنفسه.

---

(١) هو الفضيل بن عياض بن مسعود أبو علي التميمي، الإمام القدوة الثبت، شيخ الإسلام، المجاور بحرم الله، ترجمته في التاريخ الكبير: ١٢٣/٧، صفوة الصفوة: ١٣٤/٢، سير أعلام النبلاء: ٤٢٢/٨.

٦. القاضي عز الدين بن جماعة الكناني

ومنها حجر إلى جانب القبر السابق عليه بعد البسملة، قوله تعالى: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا﴾[1]... الآية ما صورته:

هذا قبر العبد الفقير إلى الله تعالى قاضي المسلمين عز الدين أبو عمر عبد العزيز ابن العبد الفقير إلى الله تعالى القاضي بدرالدين أبي عبد الله محمد ابن شيخ الإسلام برهان الدين إبراهيم بن سعد الله بن جماعه الكناني الشافعي[2]، قاضي القضاة بالديار المصرية تغمده الله برحمته، وأسكنه بحبوحة جنته، توفي إلى رحمة الله تعالى بمكة المشرفة يوم الإثنين حادي عشر جمادي الآخر سنة سبع وستين وسبعمائة، انتهى.

وعلى جوانب الحجر المذكور ما صورته، وكتبته كما وجدته:

أضحى بفقدك ركن المجد منهدم ... والعلم بعدك عز الدين منثلم
والفضل والجود والمعروف كلهم ... ماتوا لموتك والإحسان والكرم
من للشريعة والفتوى إذ عجزت ... أولو العلوم وعن إدراكها فحموا
ومن للقضاء ومن للحكم بعدك يا ... قاضي القضاة ومن للحق ملتزم /
من للمساكين والأيتام يكفلهم ... من للمقل إذا أودى به العدم
سقى ضريحك رب العرش غادية ... من الغمام برضوان له ديَمُ

انتهى.

وهذا الرجل هو: القاضي المشهور الجليل الحفيل الكبير، ولد في المحرم سنة أربع وتسعين وستمائة في قاعة العادلية بدمشق، ونشأ على طريقة حسنة، وصفات مستحسنة، وتصون وعفاف، وجميل أخلاق، وحسن أوصاف، اشتغل على والده ودرَّس وأفتى وخطب بالجامع الجديد بمصر، وتولى الوكالة الخاصة والعامة، ثم ولي قضاء القضاة بالديار المصرية، في جمادي الآخرة سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة، فسار سيرة جميلة، وأوتي في ولايته بكل فضل وكل فضيلة، ثلبه الشيخ جمال الدين الأسنوي في الطبقات: بأنه كان قليل الكلام فيما يتعلق بدفع المظالم عن الناس من حواشي السلطان، وقال فيه أيضًا: إنه كانت فيه عجلة في الجواب عن أمور

(١) سورة النساء، آية: ١٠٠.

(٢) ترجمته في طبقات الشافعية للسبكي: ٦/١٢٣، وطبقات الشافعية للأسنوي: ١/١٨٧، والدرر الكامنة: ٢/٤٨٩.

متعلقة بالمنصب تؤدي إلى الضرر غالبًا به وبغيره.

وقال فيه أيضًا: إنه لم يكن فيه حذق يهتدي به لما فيه نفع من يستحق النفع، بل أموره بحسب من يتوسط عنده بخير أو بشر، وكان قد قال فيه قبل هذا الكلام: إنه سليم الصدر محبٌ لأهل العلم يفضل عليهم / الكثير بخلاف والده[1]، وهذا الكلام من الأسنوي فيه حملة عليه بما لا يليق ذكره، ولا ابن جماعة أسوة بجماعة عصري الأسنائي، فإنه لم يبق على واحد منهم حتى شيخه شيخ الإسلام تقي الدين السبكي، قال فيه: غير أنه كان يحب الوظائف له ولأهله، وحبك للشيء يعمي ويصم، وهذا الكلام ليس هو من أصل الطبقات، بل جعلها حاشية ملحقة، وقد رأيتها بخطه في مسودة هذه الطبقات، فليت شعري أي فائدة في إلحاق هذه الفائدة العظيمة، التي كأنه يرى أن ذكرها واجب، نعوذ بالله من الوقوع في هوى المهالك، ونسأله أن يوضح لنا أحسن الطرق وأوضح المسالك.

والله أن القاضي عز الذين بن جماعة حسنة من حسنات الدهر، وكلمة جميلة جمّل الله بها أهل ذلك العصر، وكان يكتب خطًا حسنًا، ويقول شعرًا بديعًا، صنف التصانيف الجليلة، وجمع المجاميع المفيدة النافعة، وله المنسك الكبير أبان فيه عن علم غزير، واطلاع كثير[2]، وله غيره أيضًا.

وكان قد عزل عن المنصب سنة تسع وخمسين ثم أعيد بعد ثمانين يومًا لزوال من تسبب في عزله، وكانت عاقبته غير جميلة، ثم علم في تلك المدة مقدار الراحة من المنصب، فاستعفى سنة ست وستين، وحمل معه ختمة شريفة فأعفي ثم ثقلوا عليه وركب إليه صاحب الأمر فصمم واعتذر، وحج وجاور وزار المدينة الشريفة، وبقي يسرع في السير خوفًا من أن يموت في غير الحرمين الشريفين، فلما عاد إلى مكة توفي في التاريخ / وهو من بيت علم وفضائل وخرج من بيت ابن جماعة.

أنشدني الشيخ العارف برهان الدين بن زقاعة، - بالزاي والقاف - لنفسه يمدح إبراهيم بن جماعة بن عمر والد القاضي عز الدين المذكور:

---

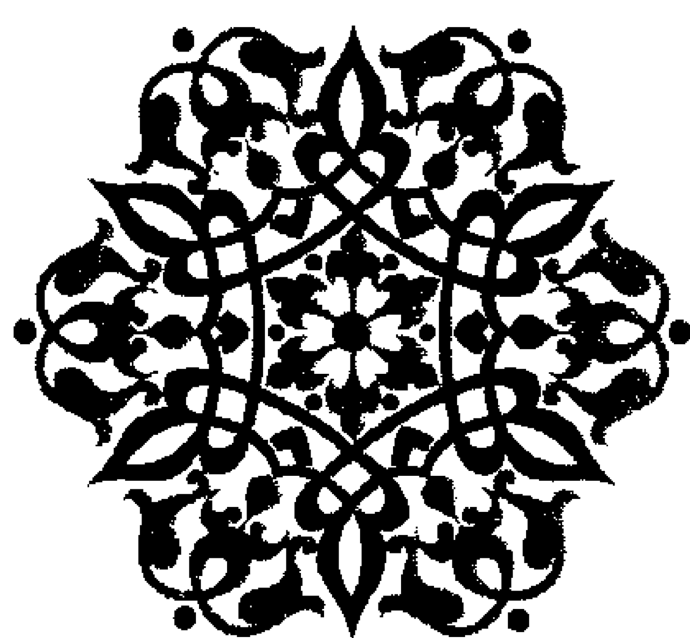
(١) طبقات الشافعية للأسنوي ١/١٧٨.

(٢) وهو هداية السالك إلى المذاهب الأربعة في المناسك، طبع بتحقيق د/نور الدين عتر.

لـمـلـة أحـمـد بـرهـان ديـن يقوم بحفظها في كل ساعة

فمت في حبه إن شئت تحيى فذا البرهان قد أحيا جماعة

ولهذا المدح سبب وإلا فابن زقاعة لم يكن يمدح أحدًا من أرباب المناصب، وقد مدح عز الدين ابن جماعة جماعة من شعراء عصره، وكان كريمًا جوادًا أريحيًا ممدحًا وهو عريق في الفضل والرئاسة رحمه الله تعالى.



٧. منصور بن محمد بن منعة البغدادي شيخ الحرمين

ومنها حجر إلى جانب القبرين السابقين عليه بعد البسملة: ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ﴾[١].

هذا قبر العبد الفقير إلى الله اللائذ بعظيم جنابه، العائذ من أليم عقابه، المتوكل عليه، والمقدم خدمة حرمه وحرم نبيه وسيلة بين يديه، عفيف الدين أبي المظفر منصور بن أبي الفضل بن منعة البغدادي شيخ الحرمين الشريفين تغمده الله برضوانه وأسكنه بكرمه بحبوحة جناته.

ولي أمرهما سنة أربع وعشرين وستمائة إلى حين وفاته من الخامس والعشرين من ذي القعدة من سنة أربع وستين وستمائة عفا الله تعالى عنه وأحسن إليه وتعطف عليه وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم، انتهى[٢]. /

وهو أشهر من أن يذكر وأبين من أن يترجم وفضائله لا تسعها الأوراق، وقد اشتهرت في الآفاق، نفع الله تعالى به، ووصل سببنا بسببه إن شاء الله تعالى والحمد لله.



(١) سورة الصافات، آية: ٦١.

(٢) وقد أشار إلى هذا الحجر تقي الدين الفاسي في العقد الثمين ٦/١٢٨ في ترجمة المذكور.

٨. الإمام عبد الله بن أسعد اليافعي

ومنها حجر تحت قدمي الفضيل بن عياض السابق مكتوب عليه بعد البسملة قوله تعالى: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ﴾[(١)]... الآية ما صورته:

هذا قبر الشيخ الإمام العالم العلامة المحقق العارف القدوة، شيخ الطريقة، والجامع بين الشريعة والحقيقة، مرشد السالكين، ومربي المريدين، قطب الزمان، وبحر العرفان[(٢)]، مفتي الفريقين، وإمام الطريقين، نزيل الحرمين الشريفين، بقية السلف الصالح، عفيف الدين أبي محمد عبد الله بن أسعد اليافعي الشافعي[(٣)]، قدس الله روحه ونور ضريحه، توفي ليلة الأحد العشرين من جمادي الآخر سنة ثمان وستين وسبعمائة، برد الله ثراه، وجعل الجنة مأواه، وغفر لمن ترحم عليه وقرأ القرآن العظيم وأهداه إليه وصلى الله على سيدنا محمد وآله، انتهى.

هذا الرجل ترجمته كالشمس المشرقة، وأنوار فضائله وعلومه وبركاته كالغيوث المغدقة طلع في هلال الأفق الشريف بدرًا كاملًا، وظفر أهل مكة منه بمطلب نفيس عُدَّ لتحقيق الكفاية عُمده وتأملًا لله دره من مهذب بسيط كم في ألفاظه الشريفة / من تهذيب ومن عالم مقرب كم في إشاراته من تدريب وتقريب، حاوي اللباب والخلاصة والنهاية، وسَبَّاق إلى أمد عن مداه يقصر كل صاحب غاية، يا له من متولٍ لوظائف عزل بها المتولي عن تتمة تتمته، وفار دم الفوراني عند بيانه البيان من أمانته، فإن يكن أبو المعالي صار إمام الحرمين بسبب إقامته بمكة، فهذا والله إمام المشارق والمغارب، ونهاية ذلك نهاية المطلب وبداية هذا نهاية المطالب، لا أشك أنه سر الله في الأرض، وحجته على عباده العلماء الصالحين يوم العرض، ونور أفق الحجاز المشرق، والغيث الذي هو مغرق على طلاب العلوم ومغدق وبحر سليم ينضب عند رؤيته البحر المغرف، وهزبر علوم يلبث الليث بين يديه، وهو ذليل مطرق ومجموع منفرد عن النظير والمماثل وهيكل سعادة ليس لشكله والله من مشاكل، طال ما أيقظ مجنون العلماء من سنة الغفلة بلطف تبينه وجوه المذهب، وطرق الطريقة بأحسن تنقيح وأوضح توجيه يتدفق وينبلج عند السؤال كالسيل، والبدر في جنح الليل، ويميل عن الدنيا وأهلها بكليته كل الميل، وبالجملة فواصف محاسن هذا العالم

---

(١) سورة التوبة، آية: ٢١.

(٢) هذه أوصاف تطلق على الصوفية، وفيها من المبالغة ما فيها، وستأتي في وصفه عبارات أخرى في الصفحات التالية.

(٣) ترجمته في طبقات الشافعية للأسنوي: ٢/٣٣٠ والسبكي ٦/١٠٣.

العلامة قصاراه القصور، ولو أرتقي في سماء / الأوصاف إلى مقاصير القصور، وقد وجدت مكان القول في مدحه فسيحًا، لكنه لم يجد مني لسانًا ناطقًا ولا مقولًا فصيحًا، وقلت فيه بديهًا:

حاز المعارف ذا العفيف اليافعي   بتوابع قرت عيون الشافعي
شيخ العلوم إذا تحدث أهلها   فأعجب لشيخ في الفضائل يافعي

وأقول فيه مختصرًا ومقصرًا: هو عفيف الدين عبد الله بن أسعد اليافعي، الشافعي اليمني المكي، مولده قبل السبع مائة وبلغ بالاحتلام سنة إحدى عشرة، وكان في ذلك الوقت وهذه السن معرضًا عن حال الأطفال من اللعب ونحوه، فلما ظهرت عليه فحائل النجابة، ورأى والده عليه أمارة السعادة والإصابة، بعث به إلى عدن فقرأ بها واشتغل بالعلم وأسقط فرض الحج سنة اثنتي عشرة، وعاد إلى بلده، وحببت إليه الخلوة والسياحة، وصحب الشيخ علي الطواشي وسلكه الطريق، ثم عاد إلى مكة سنة ثماني عشرة وجاور بها، وقرأ الحاوي على قاضي مكة نجم الدين الطبري، وتزوج ثم ترك التزوج وتجرد منه عشر سنين[1] بين الحرمين الشريفين، ورحل إلى الشام سنة أربع وثلاثين، وزار القدس والخليل ثم قصد مصر متخفيًا وزار / الشافعي وغيره، وأقام بالقرافة في مشهد ذي النون، ثم حضر مجلس وعظ الشيخ حسين الجاكي، وعند الشيخ عبد الله المنوفي المالكي وعند الجويزاوي سعيد السعداء، وهو شيخها واشتهر في تلك الأيام قدومه إلى القاهرة إلا أن الله حقق قصده فلم يعثر عليه أحد، ثم عاد إلى الحجاز وجاور بالمدينة الشريفة، ملازمًا للعلم والعمل، وتزوج وأولد عدة أولاد، أحدهم سيدي عبد الرحمن، والآخر: سيدي عبد الوهاب، والآخر: سيدي عبد الهادي، وكل من هذه الجواهر الثلاثة هو ابن أبيه، ولا يتصور لأحد استيعاب ما فيه، فأما سيدي عبد الهادي فإنه رحل إلى الشام واجتمع بجمع من الأولياء، ومات هناك ولم يعقب، وأما سيدي عبد الرحمن فحصل له من الأحوال السنية، والمقامات العلية ما تضيق عنه بطون القراطيس، وآخر أمره أنه توجه إلى مصر ثم إلى الشام ثم توجه إلى العراق، ولا يعلم حقيقة خبره ولا موضع وفاته، على التحقيق ولم يخلف ولدًا ذكرًا بل بنتًا من السيدة زينب بنت قاضي القضاة شيخ الإسلام أبي الفضل النويري، وهي الآن في قيد الحياة، وتزوج بها أعني بنت سيدي عبد الرحمن الشريف أبو حامد بن الشريف عبد/الرحمن بن أبي الخير الفاسي، ثم مات عنها، وخلفه عليها قاضي القضاة محب الدين بن القاضي جمال الدين بن ظهيرة المخزومي وهو الآن معها، وأما سيدي تاج الدين عبد الوهاب فأقام بمكة المشرفة ينشر العلم

(١) سيأتي أنه تزوج مرة أخرى.

الشريف، في ذلك المحل المنيف، وكان من العلم الكثير والدين القوي بمكان شهير، ثم مات وخلف ولله الحمد ولدين هما في الحقيقة جوهرتان بل هما من أنفس الجواهر، أدركا في سنهما ما أدركه الأماثل الأكابر حفظ الله بهما وله الشكر شرف هذا البيت وأحيى بهما ذلك السيد الذي هو في الحقيقة حي، ولا أقدر أن أقول ذلك الميت، لحظني شرف السعد فتشرفت بصحبتهما ورنا إليَّ العز فمجد في موالاتهما ومحبتهما:

وإذا سئلتُ بمن تهيم صبابة ... قلت اللذان هما اللذان هما هما
أبقاهما الله قدَّ الأيام والليالي ... وأحياهما لإحياء دولة السيادة والمعالي

اسم أكبرهما المولى المتقي المختار المصطفى جمال الدين أبي المحامد محمد وهو والحمد لله محمد الاسم والفعل، قليل النظير والشبيه والمثيل، واسم الثاني وجيه الدين، ويقال: زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن وهو الرجل الذي يكبو طرف الوصف / عن ذكر بعض مناقبه ويعثر، ويكل جواد المبالغة عن وصف القليل من محاسنه، وبحرٌ جوهرة نفيسة ليس لها قيمة، ودرة دونها كل درة يتيمة، تخلق بأخلاق جده وأبيه وعمه، وظفر بجميع أنواع القبول كيفه وكمه وحاز من الصفات الجميلة ما يعجز عنه الوصف، ومن المعارف والعوارف ما لا يحصره بليغ ولا عارف، ويفوق ذكاء على ذكاء وأين ذكاء.

* وعلا علاه جميع من استعلى وعلاه *

صحبتهما فوجدتهما أفضل سيدين وأفضل مصحوبين، ورغبت إلى الشرف بقربهما، فلا عدم الراغب المرغوب.

هما أخوا في العدم من لا إخاله ... إذا خاف يومًا ينوه فدعاهما
هما يلبسان المجد أحسن لبسة ... شحيحان ما استطاعا كلاهما

ثم نعود إلى المقصود من ذكر الشيخ عبد الله اليافعي، وذكر بعض أحواله التي اشتهرت وسارت وانتشرت بين الأنام كرمًا وشاعت.

قال القاضي بدر الدين بن فرحون في تاريخ المدينة في ترجمة الشيخ عبد الرحمن الجبرتي، ما لفظه: كانت له مع الشيخ العالم، قطب زمانه أبي محمد عبد الله بن أسعد اليافعي نفع الله به سياحات في ظاهر المدينة، وكان الشيخ عبد الرحمن يحكي لبعض أصحابه أنه اتفق له مع الشيخ عبد الله كرامات في أيام السياحة وكان الشيخ عبد الله قبل توطنه / بمكة وزواجه بها، أقام بالمدينة

على قدم التجرد والوجد والسياحات[1]، ثم تزوج بالمدينة في سنة تسع وثلاثين وسبعمائة الحرة الصالحة العابدة ستيت أم محمد بن علي اليماني، ثم فارقها وارتحل إلى مكة، ولم يزل يتردد إلى المدينة ويجاور بها، ومناقب الشيخ عبد الله وكراماته وأحواله وعلومه ومصنفاته ومجاهداته لا يحصرها حد ولا تنتهي بالعد، كما قيل:

يفنى الكلام ولا يحيط بوصفه حسب المبالغ أن يكون مقصرًا

نفعنا الله به، وكثير من الصالحين، يشير إلى أنه قطب[2] مكة، وهو خليق بذلك، واتفق في سنة ستين وسبعمائة أنه جاءت القافلة من مكة المشرفة لزيارة النبي ﷺ[3] فجاء بزوجتيه بنت القاضي نجم الدين وأم أولاده بنت شهاب الدين الإمام فتوفيت زوجته بنت القاضي نجم الدين، في أواخر شعبان، ثم توفيت بنت الإمام أول ليلة من شهر رمضان، ودفنتا في قبلة قبة سيدنا إبراهيم ابن رسول الله ﷺ، فلما كان بعد العيد خطب إليَّ ابنتي «ملوك» التي كانت زوجة الشيخ عيسى السكوري فزوجناها منه رجاء بركته نفعنا الله به، انتهى كلام ابن فرحون وقال الأسنوي في الطبقات: إنه كان نحيفًا ربعة من الرجال، بعد أن قال: إنه كان يصرف أوقاته في وجوه / البر وأغلبها في العلم وإنه كان كثير الإيثار والصدقة مع الاحتياج، متواضعًا مع الفقراء، مترفعًا على أبناء الدنيا، معرضاً عما في أيديهم، مربيًا للطلبة والمريدين، ولهم به جمال وعزة، ثم قال بعد ذكر وفاته: وبيعت حوائجه الحقيرة بأغلى الأثمان، فبيع له مئزر عتيق بثلاثمائة درهم، وطاقة بمائة، وقِسْ على ذلك، هذا كلامه[4]، وعجبت منه في وصف حوائج هذا السيد وملبوس بدنه الشريف بالحقير، ووصف الثمن الحقير حقيقة بأنه أغلى الأثمان، فعكس في الوصفين، نعوذ بالله من العكس آمين.

وذكر الشيخ العارف ولي الدين يحيى بن الشيخ فخر الدين عثمان النويري في مفاخرته بين مكة والمدينة، على لسان افتخار مكة: أفيك قال رسول رب العالمين ومصطفاه: «صلاة في المسجد الحرام تعدل مائة ألف صلاة فيما سواه»؟ فاسمعي مقالتي ولا ترافعي، فأنا أفضل منك بنص الشافعي، لا سيما وقد أقام فيَّ في هذا العصر الشيخ عبد الله اليافعي ولو وجدت بياضًا لملأت الحياض.

---

(١) هذا على خلاف هدي الشرع.

(٢) هذه أرفع مراتب التصوف، ولو نزه المؤلف كتابته عن هذه المبالغات والشطحات لكان أولى.

(٣) الأصح أن يقال: لزيارة المسجد النبوي الشريف لحديث: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد».

(٤) طبقات الأسنوي: ٢/٣٣٢.

٩. قاضي القضاة جمال الدين عبد الله بن عمر بن أبي جرادة

ومنها حجر عليه بعد البسملة وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا﴾[(١)] الآية، ما صورته، هذا قبر العبد الفقير إلى الله تعالى، قاضي القضاة، جمال الدين، خادم أمير المؤمنين أبي محمد عبد الله بن القاضي / نجم الدين عمر بن أبي جرادة الحنفي العديمي الحاكم بحماة وأعمالها، تغمده الله تعالى برحمته ورضوانه، توفي بتاريخ سابع ذي الحجة الحرام سنة ستة وثمانين وسبعمائة وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم، انتهى.

هذا الرجل من بيت كثير المحاسن والفضائل، جَمّ الرئاسات والمعالي والفواضل:

من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم　　　مثل النجوم التي يسري بها الساري

وهو بيت ثابتة أصوله، شريفة أعماقه مستقيمة دعائمه، زاهر إشراقه:

ما منهم إلا تروّى بالحجى　　　أو مُؤْذنٌ بالأحوذية مُعْلِمُ

قال ياقوت الحموي: سألته يعني الصاحب كمال الدين بن العديم لم سميتم: بابني العديم؟ قال سألت جماعة من أهلي عن ذلك؟ فلم يعرفوه، وقالوا: هو اسم محدث ولم يكن في آبائي القدماء من يعرفه، ولا أحسب إلا أن جد جدي القاضي أبا الفضل هبة الله بن أحمد بن يحيى بن زهير بن جرادة مع ثروة واسعة ونعمة شاملة، كان يكثر في شعره من ذكر «العدم» وشكوى الزمان فسمي بذلك فإن لم يكن هذا سببه فما أدري ما سببه، انتهى[(٢)].

وكمال الدين هذا هو واسطة القلادة، وطراز الوسادة وعين البيت، ذو الفضائل التي ليس فيها / لو ولا ليت، وهو كمال الدين عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة الصاحب القاضي رئيس الشام، ونادرة الأيام، العقيلي الحلبي العديمي، ولد سنة ست وثمانين وخمسمائة، وتوفي سنة ست وستين وستمائة، سمع من أبيه ومن عمه أبي غانم محمد، ومن ابن طبرزد والخرستاني والكندي والافتخار، ومن جماعة ببلاد كثيرة وكان محدثًا مؤرخًا فقيهًا مفتيًا متقنًا بليغًا كاتبًا مجودًا، دَرَّس وأفتى، وصنف وترسَّل عن الملوك، ولِيّ قضاء حلب من آبائه خمسة متتالية ودفن بالقاهرة، وكان إذا سافر تشد له مَحَفّة بين بغلين ويركب فيها، ويكتب خطه المليح المنسوب، وهو راكب وهي سائرة ومن شعره:

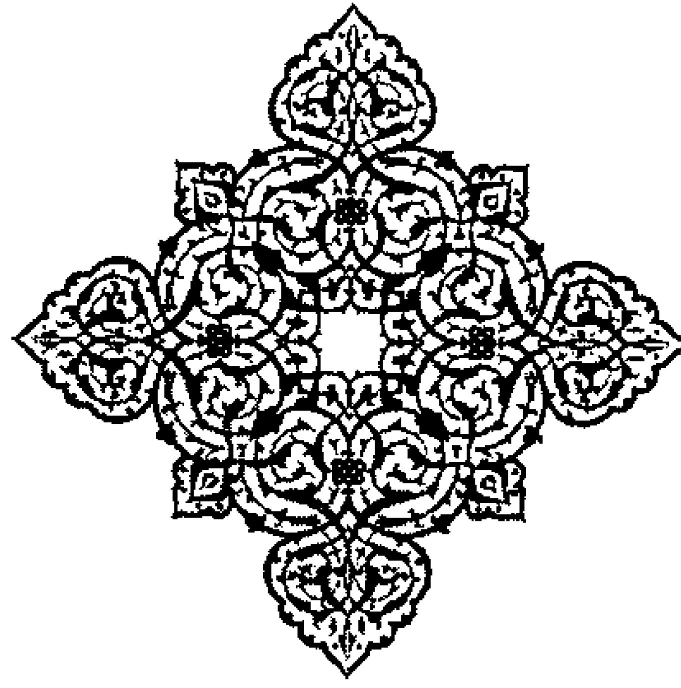
---

(١) سورة النساء، آية: ١٠٠.

(٢) معجم الأدباء لياقوت الحموي ١٦/٦.

يدي يسحر الألباب بالحسن والحسناء   هلـم إليـه إنـه الـمقـصـد الأسـنى
وزرْ بيـن أزرار الـقـمـيـص تـرابيًا   وضم إليك الدعص والغصن والدّنا

وهو والد القاضي مجد الدين، وهو بيت يطول الكلام وصفه ونشره، ويطيب استنشاق رائحة عنبره ونشره.



١٠. العالم المفتي أبو النعمان بشير ابن أبي بكر الجعفري التبريزي

ومنها حجر عليه بعد البسملة وبعد قوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾[(١)]... إلى آخرها ما صورته:

هذا قبر العالم مفتي المسلمين أبي النعمان بشير بن أبي بكر بن سليمان بن يوسف الجعفري التبريزي قبض[(٢)] [........[(٣)]] الإثنين الثامن عشر من شهر الله رجب، سنة ثلاث وثلاثين / وستمائة جعله الله شفيعًا لوالديه أمين.

انتهى ما قدرت عليه من قراءات ما على الحجر المذكور، وقد انمحى ما عليه لا من طول الزمان، ولكن من هشاشة الحجر وعدم صلابته، ولم يُشْكل عليّ إلا الكلمة التي بعد قوله: قبض، فلا أدري هل هي يوم أو ليلة، أما التاريخ فإنه كما نقلته ولا شك فيه ولا خفاء، وهو غريب فإن الذي نقلته من خط الشيخ أبي العباس الميورقي أنه توفي لثلاث خلون من شهر صفر من سنة ست وأربعين وستمائة، وهو العام الذي أخذ فيه الكفار مدينة أشبيلية، إحدى قواعد جزيرة الأندلس، هذا كلامه وكذا ذكر العفيف المطري المدني في ذيله على طبقات ابن كثير أنه توفي بمكة ضحى يوم الخميس الثالث أو الرابع من صفر سنة ست وأربعين وستمائة ودفن بالمعلا، قد نقلت نسبه من خط العلامة أبي العباس الميورقي نزيل وج، فقال: - بعد أن وصفه بأوصاف كثيرة -، نجم الدين أبو النعمان بشير بن أبي بكر بن حامد بن سليمان بن يوسف بن سليمان بن عبد الله بن الحسين بن زيد بن الحسين بن إسحاق بن محمد بن يوسف بن جعفر بن إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب / التبريزي، الجعفري، شيخ الحرمين الشريفين، ومفتيهما وإمام الطائفة الصوفية وسائسها ومربيها بمكة شرّفها الله تعالى.

وذكر التاريخ السابق ثم قال تفقه في مذهب الشافعي على جماعة كثيرة، وروى الحديث أيضًا عن جماعة كثيرة، وذكر جماعة كثيرين، ثم قال: فسر القرآن فكف بصره وهو في تأليفه فسأل الله أن يمسك عليه بصره حتى يتمه فكان كذلك.

اسم تفسيره العِقْيان في تفسير القرآن، قال القطب القسطلاني[(٤)] في ارتفاع الرتبة: سمعته

---

(١) سورة الرحمن، آية: ٢٦.

(٢) ترجمته في طبقات السبكي: ٨/١٣٣.

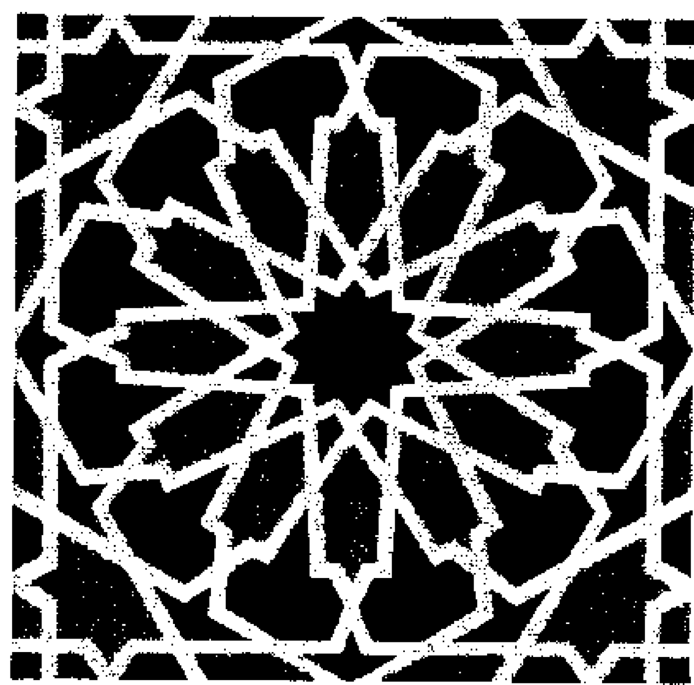
(٣) كلمة غير واضحة بالمخطوط.

(٤) هو محمد بن أحمد بن علي الإمام الزاهد وفي الذهبي: ولد بمصر ونشأ بمكة، قرأ العلم ودرس وأفتى وكان شيخاً عالماً عابدًا زاهدًا حائزًا للفضائل، مات سنة ٦٨٦هـ. طبقات الشافعية ٥/١٨، البداية والنهاية: ١٣/ ٣١٠، تاريخ الإسلام للذهبي حوادث سنة ٦٨٦.

منه أجمع وكان يلبس خرقة الفقر عن شيخه المهر داري بسنده إلى الجنيد بطريقة الجنيد إلى رسول الله ﷺ، انتهى.

ما نقلته من خط العالم المذكور، أما العفيف المطري فقال في الذيل بعد أنه ذكر النسب السابق فقال الجعفري التبريزي الفقيه الشافعي أبو النعمان وأبو حامد المنعوت بالنجم بن البدر القوضي أبوه، وله باردنيل في ثاني عشر ربيع الأول سنة سبعين وخمسمائة، وحمل إلى تبريز وعمره قريب من سنتين نشأ بها وسافر في طلب العلم ودخل بغداد فحفظ القرآن واشتغل فيها بمذهب الشافعي على أبي القاسم بن فضلان وعلى يحيى بن الربيع حتى حفظ المذهب والأصول والخلاف وناظروا فتى / وأعاد بالمدرسة النظامية وقرأ الأدب وسمع من أبي منصور وأبي أحمد بن سكينة، وذكر كثيرين ثم قال وذكره الشيخ محب الدين بن البخاري في تاريخه، فقال فيه: فقيه فاضل، حسن السيرة متين لطيف الأخلاق بن عدة مجلدات ثم نقل عن الحافظ جمال الدين بن مسدي أنه قال فيه، أحد فقهاء الشافعية أصلًا وفرعًا المناضلين به وعنه إيجابًا ومنعًا، وقد ولي مشيخة الحرم الشريف فطلع بدرًا في ذلك الأفق المنيف حين وصدع وضر ونفع وغلبت عليه الأبوة والنفس الأبية فأكرم الفضلاء وأنهل الوارد، وجاد وزاد وأيد وأعاد، وكان في نفسه قد حوى علومًا وتأدب منثورًا ومنظومًا وسمع الحديث وكتب وقام بهن فطيفة الإنساء بما وجب ورحل رجال ولقي أعلام الرجال، انتهى كلام ابن مسدي.

هذا القدر كما في الإشارة إلى بعض أحوال هذا السيد الكريم المستحق للتعظيم والتكريم.



١١. العالم محمد ابن أخت قاضي قضاة دمشق نجم الدين ابن سسر

ومنها حجر عليه بعد البسملة وبعد قوله تعالى: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا﴾[١]... إلى آخر الآية، ما صورته:

هذا قبر العبد الفقير إلى الله تعالى العالم محمد ابن أخت الإمام العالم قاضي قضاة دمشق نجم الدين بن سسر الشافعي توفي في الثامن / من ذي الحجة، يوم التروية، سنة سبع وعشرين وسبعمائة، رحمه الله تعالى، انتهى.

هذا الرجل صاحب القبر لا أعلم من حاله شيئًا، أما خاله المشار إليه فهو القاضي العالم العلامة العادل الفهامة نجم الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن سالم بن الحافظ أبي المواهب بن سصرى[٢]، وقد كتبته أولًا كما وجدته على حجر القبر سسر، – وليس هذا مكان بيان جواز إبدال السين بالصاد[٣]– الربعي التغلبي الدمشقي الشافعي، ولد سنة خمس وخمسين وستمائة، وحضر على الرشيد العطار والنجيب عبد اللطيف وسمع من ابن عبد الدايم وابن أبي اليسر، وجده لأمه المسلم بن علان، وتفقه على الشيخ تاج الدين بن الفركاح، ودخل ديوان الإنشاء، ونظم ونثر وشارك في فنون، وكان فصيح العبارة، قادرًا على الحفظ طويل الروح، سالمًا محسنًا إلى من أساء إليه، درَّس بالعادلية الصغرى والأمينية ثم بالغزالية مع قضاء العسكر، ومشيخة الشيوخ، ثم ولي قضاء القضاة سنة اثنين وسبعمائة، وهي السنة التي توفي فيها الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد، واستمر في المنصب إلى أن مات في نصف شهر ربيع الأول، سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة فجأة بليساء، بعد تعلل أصابه وكان موته مفتاحًا لموت رؤساء دمشق وعلمائها / ويقال: إنه لم يقدر أحد يدلس عليه قضية، ولا يشهد زورًا، وكان متحريًا في أحكامه، بصيرًا بقضاياها، ولم يسمع عنه أنه ارتشي في حكومة، وكان ينطوي على دين وتعبد، وله أموال وخدم، وهو من بيت حشمة، قيل: إنه قال يومًا للشيخ صدر الدين بن الوكيل: فرق ما بيننا أني أشتغل على الشمع الكافوري، وأنتم على قناديل المدارس، وكان يومًا قد توجه لصلاة الصبح بالجامع فضربه إنسان بمطرقة رماه إلى الأرض وظن أنه قد مات وقال: أعرفه ولا أذكره.

---

(١) سورة النساء،آية: ١٠٠.

(٢) ترجمته في السير ٢١/٢٦٤، النجوم الزاهرة ٦/١١٢، شذرات الذهب ٤/٢٨٥.

(٣) ويقال فيه (صصري).

١٢. الإمام العلامة قاضي الحرمين أبو جعفر أحمد بن أبي بكر الطبري

ومنها حجر عليه بعد البسملة وبعد قوله تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ﴾ إلى قوله: ﴿فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ﴾(١) ما صورته:

هذا قبر الفقير الفقيه القاضي الإمام العالم العلامة الزاهد المدرس بالحرم الشريف، فخر الدين ناصر الشرع شرف القضاة، قاضي الحرمين الشريفين والمفتي بهما، أبي جعفر أحمد ابن الشيخ الصالح السعيد أبي بكر بن محمد بن أبي بكر الطبري، توفي يوم الثلاثاء الرابع من ربيع الآخر سنة أربع عشرة وستمائة، رحمه الله تعالى رحمة واسعة، وجميع المسلمين، انتهى. وتحت ذلك ما صورته:

أيا عين جودي ولا تقصري ... بدمع مدى العمر مستغزر/
على الأريحي الرضى اللوذعي ... كريم الغريرة والعنصر
معز الشريعة حلف التقي ... أبي جعفر أحمد الطبري
سافي الدموع وادري النجيع ... واسألوا عن الأهل والمتبحر
ولست بناسيك وقت الطواف ... ويوم الصعود وفي المشعر
وإني أرجوك يوم الوقوف ... بين يدي ربك الأكبر
كساك الإله من استبرق ... الجنان ومن سندس أخضر

هي أبيات طويلة...

أقول إذا ما أتيت الحجون ... عليك السلام أبا جعفر
أيا محيي الدين يا خير من ... تولى الحكومة في الأعصر
سقى قبرك الجود جَمَّ النُّعاق ... وحييت بالورد والعبهر
وطيِّب لحدك رَوْحُ الإله ... فيزري على المسك والعنبر
حضرت السماع وحزت العلوم ... وخلدت ذكرك للأعصر
كفلت اليتامى وعلت الأيامى ... وكنت لهم كأبٍ خيِّر
وأثنوا عليك لدى الموت خيرًا ... وهذا الثناء من معشر
تزود بها يوم فصل القضاء ... وحشر الخلائق في المحشر

---

(١) سورة الزمر، آية: ٧٣-٧٤.

هذه غالب الأبيات، ولم يفت منها إلا نحو سبعة أبيات أو ستة عَسرَ عليَّ قراءتها فتركتها احترازًا للشك في قراءتها.

هذا الرجل أشهر من أن يذكر، ولا بأس بذكر شيء من حال أبيه وإخوته على حكم الاختصار، فأقول: نقلت من خط الشيخ الثقة العالم المجتهد أبي العباس الميورقي العبدري نزيل وج الطائف / ما صورته: سمعت الشيخ محمد بن أبي السعد الوقطاني يقول: إن جد هؤلاء الطبور سأل عند رأس النبي ﷺ[1] أولادًا علماء هداة مرضيين فولد له السبعة المذكورون هنا، وقال صدر الدين: بلغنا أنه ولد له بنت وماتت صغيرة، انتهى.

والسبعة المذكورون هم: محمد وأحمد صاحب القبر، وإبراهيم وعلي وإسماعيل وإسحاق ويعقوب، فأما محمد فهو جد الشيخ محب الدين الطبري العالم المشهور صاحب التصانيف النافعة والشهرة الشائعة الذائعة، فإن محمدًا رزق من الذرية: عبد الله وعبد الرحمن ومحمد أصغرهم، أما أحمد وهو صاحب القبر والترجمة فلم يولد له ذكر وأنجب في البنات وهن: سيدة ودرويشة وعلا، فولدت «سيدة» الشيخ محمد المذكور وتوفيت سنة إحدى وسبعين في السَّلة، وكذلك أختها علا، وتوفي أحمد في التاريخ السابق على حجر قبره، أما إبراهيم فولد له: محمد وحسين وأبو بكر فولد لمحمد وهو الأكبر: أحمد، وإبراهيم وهو رضى الدين إمام المقام الشريف وعلي وإسماعيل وحسين، فولد لأحمد محمد وعمر وعثمان، وولد للفقيه الإمام إبراهيم المذكور: محمد، وولد لعلي المذكور: يوسف ومحمد وتوفي إبراهيم الأكبر جدهم بعشر ذي الحجة سنة ست عشرة وستمائة - رحمه الله تعالى - وأما علي فلم يولد له إلا حسن وولد لحسن: محمد وولد لمحمد: محمد وكان له أعني بعد الذكور بنات، وهن خديجة ومريم وست الدار، فولد لمريم وهي الوسطى محمدِ بن الفقيه المحب المذكور أولًا وأخوه عبد الله خطيب الحرم، وتوفيت هي وأختها خديجة سنة السلة وهي سنة إحدى وسبعين، وأما إسماعيل الأكبر فلم يولد له إلا محمد، وتوفي محمد وترك إسماعيل، وتوفي إسماعيل الأكبر سنة اثنين وثلاثين وستمائة، وكان قد كتب بيده البخاري ومسلم، وعدة أجزاء ولم يكتب من إخوته أحد أكثر منه، نفع الله به وبهم، وأما إسحاق فولي القضاء بمكة وكان أكرم أهل بيته ورئاسته مشهورة، وولد له يوسف وعمر وإدريس، وكان والده إسحاق كثير الدعاء له والرضى عنه، أعني عن إدريس، قال بعضهم: سمعته داعيًا له، فولد ليوسف عبد الرحمن، وولد لعبد الرحمن أحمد، وأما عمر فله من الذرية:

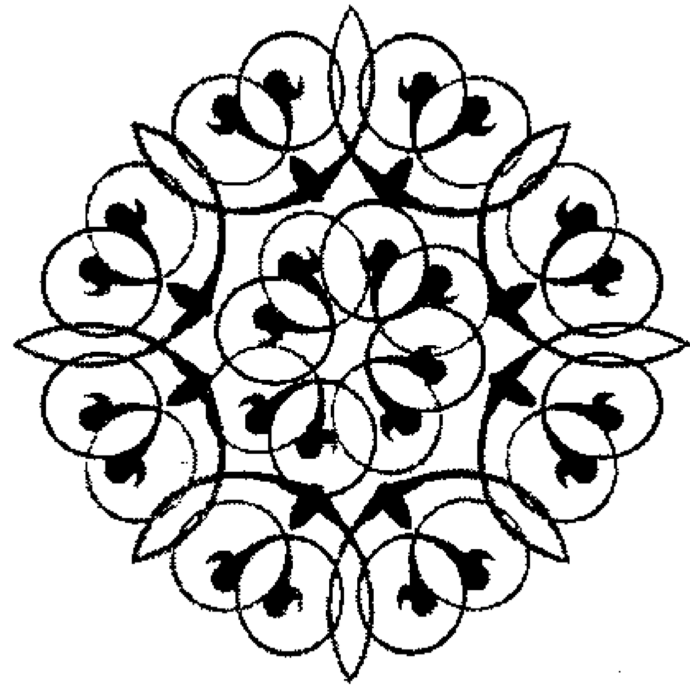
---

(١) هذا الموضع هو للسلام على رسول الله ﷺ، وموضع السؤال أن يتوجه إلى القبلة فيسأل الله ما يشاء من أمر الدين والدنيا.

علي وإبراهيم، وأما إدريس المرضي عنه فإنه مات بالشام شهيدًا غريبًا، وله من الذرية: يحيى وعلي ومحمد وإبراهيم، فولد لمحمد إدريس، وتوفي / إسحاق الكبير نحو سنة ثمان وستين وستمائة، وكان حج مع السلطان سنة تسع وخمسين، هكذا وجدته ولا أدري من هذا السلطان، وأما يعقوب وهو سابعهم وأكبرهم فولد له أحمد وإبراهيم، فمات أحمد وما ذريته إلا إناث، وأما إبراهيم فله من الذرية محمد وأحمد وعلي، نفع الله بذكرهم، انتهى.

نقلت هذا جميعه ما خلا ذكر وفاة السبعة من خط عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن أبي بكر أول السبعة المذكورين، فقد سبق أن محمدًا أصغر أولاد محمد بن أبي بكر وولد له مجد الدين إمام الروضة النبوية ومدرس المذهب، وعبد الرحيم، وعبد الرحمن صاحب الخط الذي نقلت هذا منه وكتب الميورقي تحت خطه: سمعته على كاتبه رضي الله تعالى عنهم، انتهى.

ونقلت من خط الميورقي ما صورته: وللقاضي جمال الدين الطبري في هذا التاريخ: محمد قرأ «التنبيه»، وأحمد، قال صدر الدين: وأراهما في الشعر خرّجا لجدتهما جدة أبيهما فاطمة بنت التاج الأصبهانية، أم المحب رحمها الله فإنها كانت أديبة، انتهى.



١٣. الإمام المقرئ أبو معشر عبد الكريم ابن عبد الصمد الطبري

حجر عليه بالخط الكوفي ما صورته بعد البسملة وبعد آية الكرسي، هذا قبر أبي معشر عبد الكريم بن عبد الصمد بن محمد المقري، الطبري[١] المجاور / بمكة حرسها الله تعالى، توفي بمكة في سنة تسع وسبعين وأربعمائة، رحمه الله تعالى وغفر الله له ولوالديه ولمن ترحم عليه واستغفر له ولمن قال: آمين، والحمد لله رب العالمين، والصلاة على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله أجمعين وسلم تسليمًا كثيرًا ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[٢] ﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾[٣]، وعلى جوانب الحجر الأيمن قوله تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾[٤] إلى قوله: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾[٥]، وبعدها سورة الإخلاص وعلى الجانب الآخر آيات من القرآن منها ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾[٦] وعلى أعلى الحجر في الموضعين الملك لله الواحد القهار، انتهى. ما نقلته حرفًا حرفًا بعد الاجتهاد والتأمل، مع أنها كتابة واضحة، وخط كوفي حسن.

كان هذا الرجل فقيهًا عالمًا فاضلًا، إمامًا في القراءات صنف فيها كتبًا كثيرة حسنة نافعة، وصنف في غيرها أيضًا، وسمع كتبًا كثيرة في علوم متعددة، وسافر في سماع الحديث إلى أقاليم متعددة وجاور بمكة المشرفة وانتصب فيها للإقراء والتحديث وانتفع الناس به وبحديثه وإقرائه وكان حسن الإقراء حسن الأخذ، جميل الأمر، أسف الناس عليه، ذكره ابن الصلاح في طبقاته، وقال: توفي بعد السبعين وأربعمائة[٧]، ونص / الذهبي في العبر على تعيين سنة موته فقال: مات سنة ثمان وسبعين وأربعمائة[٨]، والذي على قبره ما سبق أنه توفي سنة سبع وسبعين وأربعمائة، وكان يعرف بـ: «القطان»، ومن تصانيفه في القراءات: كتاب «التلخيص».

---

(١) ترجمته في العبر: ٣/٢٩٠، وطبقات الشافعية للأسنوي: ٢/٦٣.

(٢) سورة القصص، آية: ٨٨.

(٣) سورة الرحمن، آية: ٧٨.

(٤) سورة آل عمران، آية: ١٨.

(٥) سورة آل عمران، آية: ١٩.

(٦) سورة آل عمران، آية: ١٨٥.

(٧) طبقات ابن الصلاح: ٢/٥٦١.

(٨) العبر: ٣/٢٩٠.

١٤. الشيخ خليل بن عبد الرحمن بن محمد بن عمر إمام المالكية بالحرم

ومنها حجر عليه بعد البسملة والصلاة على النبي ﷺ وبعد قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾[1]... الآية ما صورته:

هذا قبر الشيخ الصالح الفقيه الإمام، خليل إمام المالكية بالحرم الشريف تولاها عام ثلاثة عشر، ابن الفقيه عبد الرحمن بن الفقيه محمد بن عمر تغمدهم الله برحمته، وأسكنهم الفردوس من جنته، توفي ليلة الإثنين لعشر بقين من شوال سنة ستين وسبعمائة، انتهى.

كان هذا الرجل من خيار عباد الله المتضلعين من العلم، وكان كثير البر والصدقة والإيثار، ومواساة الفقراء، وتحمل الدَّين العظيم لأجلهم، كان ينتهي دينه في بعض السنين إلى مائة ألف درهم، ويقضيها الله تعالى من وجوه حميدة، وأما دينه وورعه وعلمه وتمسكه بالسنة / فكان فوق ما يصف الواصف وحدث عن البحر بلا حرج، وكان كثير زيارة النبي ﷺ[2] بحيث إنه قلَّ أن يخرج زوّار إلى النبي ﷺ إلا وهو معهم، وكان قد أقام بالمدينة وجاور بها، واشتغل على أبي عبد الله بن فرحون في العربية ولازم درسه، وكان قد قهره الوسواس، وله في ذلك حكايات غريبة، ولو أردت أن أذكر أحواله وكراماته وكرمه لأتيت بالإسهاب والإطناب، وولي مقام المالكية بعده ابن أخيه عمر كما هو مذكور في موضع غير هذا، وولي بعده المقام المذكور: سيدنا ومولانا أقضى[3] القضاة نور الدين أبو الحسن علي بن الشيخ الإمام العالم العامل الرباني شهاب الدين أحمد بن عبد العزيز بن القاسم بن عبد الرحمن النويري الهاشمي العقيلي، وهو شقيق القاضي شيخ الإسلام كمال الدين أبي الفضل النويري، وكان القاضي نور الدين المذكور صلبًا في فصل الحكومات الشرعية، لا تأخذه في دين الله لومة لائم، وكان سيفًا صارمًا على أهل البدع وأهل الشر، وكانت له هيبة عظيمة في القلوب وسطوة، يفصل بين الطالب والمطلوب، وكان أخوه القاضي أبو الفضل قد استنابه في فصل الحكومات على مذهبه / واستمر على ذلك أيام أخيه، ثم استنابه ابن أخيه قاضي الحرمين الشريفين أبو البركات محب الدين أحمد ابن القاضي أبي الفضل، ولم يزل من العز في معقل حصين، ومن السعادة في مكان متمكن مكين، تساعده الأقدار في مطلوبه وتساعفه في مراده ومرغوبه، إلى أن اختار الله له قُربه، ونزهه عن رذائل هذه

---

(١) سورة الحجر، آية: ٤٥.

(٢) الأصح أن يقال: زيارة المسجد النبوي، لحديث: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد».

(٣) هذه مبالغة كبيرة في الوصف، كان ينبغي على المصنف تجنبها.

الدنيا الدنيئة فقضى نحبه في يوم الجمعة، ثامن جمادي الأولى سنة تسع وتسعين وتسعمائة، ومولده في شعبان سنة أربع وعشرين وسبعمائة، وكان قد نشأ في كفالة خاله القاضي شهاب الدين أحمد ابن القاضي نجم الدين الطبري، فتخلق بأخلاقه الرئيسة، وإن كانت الرئاسة فيه عزيزة وعز جاه أهل الحرم الشريف بذاته النفيسة العزيزة، وتوفي ابن أخيه القاضي محب الدين في العام الذي توفي فيه عمه ليلة الأربعاء السابع عشر من رجب، وفي مثل هذه الليلة ثالث عشر رجب من سنة ست وثمانين وستمائة توفي والده شيخ الإسلام علم العلماء أبو الفضل النويري شافعي زمانه، رحمه الله تعالى، وولده في شعبان سنة اثنين وعشرين وسبعمائة رحمه الله تعالى فإني والله لا أذكر هذين السيدين إلا وتصغر في عيني / هذه الدنيا ولا أتفكر في محاسنهما التي فقدتها في هذا الوقت إلا وأدعو الله لهما بالسقيا فسقيا لهما ورعيًا، وسقى الله قبرهما صيب الحياة وحيا:

وكيف احتمالي للسحاب صنيعه ... ياسقابها قبرًا وفي لحده البحر

ولكنه ولله الحمد ولوجهه الشكر، خَلّف فينا أعني القاضي نور الدين أولادًا نجباء سادة حجًا حجة، ذوي دهاء قادة، قد أحيا هذا الخلف خلافة بني عمهم بني هاشم.

وأظهروا منار العلم الشريف في أشرف العالم

من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم ... مثل النجوم التي يسري بها الساري

فهم اليوم بالإجماع أعزة هذا الحرم، وحماته من آفات الضيم، ومعادن الكرم:

أقبل وأدبر ولا تخف أحد ... بنوا عليّ أعزة الحرم

ولو كنت أعلم أن فضائلهم ومناقبهم تدخل من باب الإحصاء أو تلج بها حد الاستيعاب والاستقصاء لملأت جميع البياض، وأنزعت الحياض، ولكن يفنى الزمان ولا يحيط بوصفهم.

أيحيط ما يفنى مما لا ينفد أبقاهم الله تعالى لأعلى أعالي المعالي، وزين بوجودهم هذا الوجود مدى الأيام والليالي، ولا غَيَّر ما بهم من نعمة، ولا راعهم الدهر بملحة، فإنهم إنسان عين هذا العصر، وتاج الوقت، وطراز الدهر.

١٥. الإمام الفقيه ضياء الدين محمد بن عمر القسطلاني إمام المالكية بالحرم

ومنها حجر على القبر السابق أعني قبر / الشيخ خليل المالكي كلا الحجرين في بناء واحد على قبر واحد، حجر الشيخ خليل في أعلا البناء وتحته حجر مكتوب عليه بعد البسملة بعد قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ۝ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ۝﴾[1] ما صورته:

اما مسيئ سيدي من تجاوز	أتاك بلا زاد لقطع المفاوز
وعفوك مأمول لكل مؤمل	وبرك موجود لكل مناهز
وبابك مفتوح وفضلك شامل	وما أنا ان حُرمت هذا بفائز
وقد جئت أرجو العفو يا مالك	مقرًا على نفسي بجرم المبارز
أسوِّف بالطاعات تسويف معسر	وأنفذ في العصيان بعد المناجز
فإن تعف عن جرمي فإنك أهله	وإلا فما شيء عن النار حاجز
وعادات سادات الورى أن يعاملوا	مقرًا أتاهم بالرضى والتجاوز

بعدها أبيات أخر من غير فاصل بينها وبين الأبيات الأولى أولها:

وحقك ما عصيتك مستهينًا	بأمرك يا ملاذي واعتمادي
ولكن غرني كرم وحلم	وتأميل لقولك: «يا عبادي»
فقابلتُ الأيادي بالمعاصي	وصاحبت المآثم بالتمادي
فيا ندمي هناك ويا حيائي	إذا نوديت باسمي في العباد
وأوتيت الكتاب وقيل لي أقرأ/	وعانيت المسطَّر فيه بادي
وما قَدِّمتُ من أعمال سُوء	كفاني قدِمت بغير زادي
فلو أني أنوح بقدر جرمي	لبست من الأسى ثوب الحداد
وأجريتُ المدامع من جفوني	وهمت مع الوحوش بكل وادي
ونُحت من الخطايا نوح ثكلى	وأغربتُ المحاجر بالسهاد
وما لي لا أنوح على ذنوبي	بها بارزت خلّاق العباد
وما لي شافع إلا رجائي	وحسن الظن بالملك الجواد
فإن تعفو فأنت لذاك أهل	وعبد السوء أهل للبعاد

(١) سورة القمر، الآيتان: ٥٤-٥٥.

هذا قبر الفقيه الإمام ضياء الدين، أبو عبد الله محمد بن الفقيه المرحوم أبي البركات عمر بن محمد بن عمر بن الحسن القسطلاني، إمام المالكية بالحرم الشريف، مات يوم الاثنين ثامن وعشرين شوال سنة ثلاث وستين وستمائة، رحمه الله تعالى، انتهى.

وهذا الرجل هو العالم المشهور، الفاضل المذكور، المتضلع في العلوم، العالم بمنطوقها والمفهوم، العالم ابن العالم، السالك في طرق العلوم الطريق الواضح السالم، المكمل الكامل، والإمام الأكمل الفاضل، ينتهي نسبه / إلى خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه، كما نقلته من خط أبي العباس الميورقي، ولد سنة ثمان وسبعين وخمسمائة، هي السنة التي ولي فيها أبو عزيز قتادة بن إدريس مكة المشرفة، وزوال ملك أمراء مكة الذين كانوا بها أول السنة التي بعدها، وشرح ذلك يطول، واشتغل على والده إلى أن برع في العلوم، ونشأ في اجتهاد وجد وملازمة لتحصيل العلوم إلى أن صار إمامًا محدثًا، فقيهًا، ورعًا، تقيًا، يشار إليه بالفضائل بالأصابع، ويجمع على علمه ويشهد له به أرباب المشاهد والجوامع، درس بالمدرسة الحدادية بمكة المشرفة، وكانت هذه المدرسة أشهر المدارس في وقتها، وأما الآن فقد زال عنها، ولا حول ولا قوة إلا بالله اسم المدرسة، وصارت سكنًا للظلمة الأشرار بعد أن كان يسكنها، ويدرس بها السادة الأخيار.

ولي الإمام مقام المالكية بالحرم المكي.

قال الشيخ أبو العباس الميورقي، وكان يقاسي من فقهاء مصر الواردين إلى الحج شدة وتشغيبًا وإنكارًا بسبب الصلاة في المقام المذكور أثر صلاة الشافعي، وكذا جميع الأئمة الأربعة، وكان من قبلهم من أئمة المذهب في نيف على المائتي سنة، قد تصرفوا بنظر المصلحة بإظهار إمام لكل مذهب يفتي أهل مذهبه في مناسك / حجهم، وقضى بذلك قضاة وأمضاه لهم خلفاء العباسيين، فبقي جهال المنتسبين للفقه ينكرون ما لا يحيطون به علمًا مما اتفق عليه فتوى أئمتهم الماضين، ومن هو متبحر في المذهب من الأخيار كابن عوف، والقاضي الربعي، وغيرهما فمات رحمه الله، وهو يقاسي من الفقهاء شدة في هذا وأمثاله، انتهى كلام الميورقي رحمه الله تعالى، ونقلت من خطه أيضًا أعني بعد أن وصف الشيخ ضياء الدين المذكور بأوصاف جليلة جميلة ما صورته:

وغبطني يومًا بانزوائي فى وج الطائف، وقال لي: إن قدر الله استقلال ابني بالوظيفة فعزمي أن انزوي معك فيه، ثم قال وأنشدني لنفسه في معنى تمني الموت:

لو كان يُبْذل في الحِمَامِ نفائسُ — لبذلتُ فيه أنفس الأشياء
زَمنٌ يُهنّأ من أصيب بسمعه — فيه ويُغْبط بالعمى ذو الداء

وللشيخ ضياء الدين نظم بديع، ذو منزل رفيع، كأنه الجوهر الفريد، والدر المنظم النضيد، نقلت منه من خط الميورقي أبياتًا، قال أنشدنا إياها من لفظه، وهي:

لامت على طول انفرادي عن الورى ... خريدة لا تلفي عن النصح تَنْفكُّ
ولو علمت أن المخالط للورى ... أسير عناء ليس يرجى له فَكُّ /
وإن لقاء الناس وزرٌ محقق ... وتركهم هو العبادة والنسك
لما آلمتني بالملام ولا نَفَثَتْ ... ننزِّه عرضي أن يلمَّ به هتك
فقلت لها هل أبصرت غير ناظري ... صريع إذا من غير ذي صحبة يشكو
وهل سمعتْ أُذنٌ مقالةَ صاحب ... لدي غضب إلا وأكثرها أفك
على أنني جربت صحبي فخيرهم ... إلى الحظ ميال ولو أنه ملك
وقلبتهم ظهرًا لبطن فلم أجد ... ودادًا لذي ود لذي شدة يزكو
وكم جبت أقطار البلاد رجاء أن ... أفوز بخل عرف أخلاقه مسك

وهي طويلة جدًا، وآخرها:

فلما أبت إلا مكابرة الذي ... جميع الورى في إدراكه شرك
لجأت إلى إدراكها بعض ما انتفى ... عمومًا كخل لا يبهرجه السبك
فمذ علمتُ أن الوفاء سجية ... مقسمة لم يحو إدراكها سلك
وأن مرادات الرجال نفوذها ... نفوذ لدى التحقيق يُظهره الجد
أقرّت بعذري ثم قالت لتربها ... لعمرك ما في قول صاحبك شك

قال الميورقي: أنشدنا المذكور لنفسه:

إذا الود تصفيه الرجال الأجانب ... وأعدى عدو للقرب الأقارب
عداوة ذي القربى سقام مخامر ... ولاسيما الجار القريب المصاحب
أخوك الذي واخاك بالود قلبه ... وعمل من عَمَّتكَ منه الرغائب

له قصيدة طويلة يمدح بها النبي ﷺ أولها/ :

بكت رحمة لي بعد أن سفكت دمي ... ورقَّتْ ولكن حين أودت بمغرم

١٦. الإمام يحيى بن محمد بن أحمد المحاملي الضبي مفتي الحرمين

ومنها حجر على جادة الطريق، بالقرب من مصلب أبي بكر عبد الله بن الزبير رضي الله تعالى عنهما على ما يقال مكتوب عليه: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، وبعدها البسملة، وبعدها قوله تعالى: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَـٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ إلى قوله: ﴿ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ﴾[١]، وبعد ذلك مكتوب:

هذا قبر الإمام السعيد فخر العلماء مفتي الحرمين يحيى بن محمد بن أحمد بن القاسم بن إسماعيل ابن سعيد بن أبان المحاملي الضبي رضوان الله عليه، توفي يوم الجمعة لثلاث بقين من ربيع الأول سنة ثمان وعشرين وخمسمائة. انتهى ما نقلته من الحجر المذكور، وهو بالخط الكوفي.

وهذا الرجل كنيته: أبو طاهر، وكان فقيهًا ورعًا، كثير العبادة، جاور بمكة، وله مصنف في الفقه.

قال الأسنائي في الطبقات: وقد وقع لي مختصر يقال له: لباب الفقه، منسوب إلى أبي طاهر، فيجوز أن يكون هو هذا، هذا[٢] كلامه، ولم يؤرخ وفاته، وهو عريق في رئاسة العلم، من بيت أهل علم وفضل، واشتهروا بالمحامليين وبأولاد المحاملي، لأن بعض أجدادهم كان يبيع المحامل التي يركب فيها بالأسفار، ولنذكر طرفًا من حال هذا البيت لكي يعلم الواقف على هذه الترجمة أصالتهم في العلم ورئاستهم فيه، فأقول: والد هذا الرجل هو: أبو الفضل / محمد.

قال ابن الصلاح: كان فقيهًا عالمًا بالتفسير والحديث، ذكيًا، ولد سنة أربعمائة، وتوفي في رجب سنة سبع وسبعين، وكان له مجلس بجامع القصر تقرأ عليه فيه أنواع العلوم الشرعية أيام الجمع خصوصًا الحديث والتفسير، اشتغل وهو شاب على أبيه الآتي ذكره، وسمع الكثير، ولم يكن فيه ما يعاب إلا أنه ترك العلم وأقبل على الدنيا[٣]، فلو أقام على اشتغاله بالعلم حصل له خير الدنيا والآخرة، ولهذا المعنى لم ينقل عنه إلا اليسير.

أما جده: أعني جد أبي طاهر صاحب القبر ووالد أبي الفضل المذكور، فهو الإمام المشهور عين هذا البيت، أبو الحسن أحمد تفقه على الشيخ أبي حامد، وبرع في الفقه وهو شاب، فقال فيه أستاذه وشيخه المذكور: هو اليوم أحفظ مني للفقه، وهذا الكلام جرى من الشيخ أبي حامد كما يجري من المعلم والأستاذ في حق بعض المتعلمين محبة وتنشيطًا ولما يرى من آثار الفلاح عليهم فيصدر هذا الكلام لهذه المعاني، وللإعجاب بذكائه، وإلا فالشيخ أبو حامد الاسفرائيني شيخ الشافعية في وقته بلا

---

(١) سورة النجم، الآيات: ٣٩-٤١.

(٢) طبقات الأسنوي: ٢/٢٠٣.

(٣) طبقات ابن الصلاح: ١/٩٨.

منازعة، رئيسهم وكبيرهم بغير مدافعة، وهو الذي يقول: ما قمت/ من مجلس النظر قط فندمت على معنى ينبغي أن يُذكر فلم أذكره، وكان يحضر مجلسه أكثر من ثلاثمائة فقيه، وطبق الأرض بالأصحاب والإطناب في ذكره، يخرج بنا إلى الإسهاب، ولم يعش المحاملي بعد شيخه المذكور إلا تسع سنين، ولم تطل أيامه، وذلك بسبب دعاء أستاذه عليه، فإنه اقتضب تصنيف أستاذه، وهو «التعليق»، وأخذ زبدها ووضعها في أوراق سماها: المجموع واللباب والمقنع والتجريد، وذلك في حياة شيخه، فلما وقف عليها قال - أعني الشيخ أبا حامد - بتر كتبي بتر الله عمره[1]، فمات يوم الأربعاء لتسع بقين من ربيع الآخر سنة خمس عشرة وأربعمائة، ومولده سنة ثمان وستين وثلاثمائة، فعمره سبع وأربعون سنة.

وتوفي الشيخ أبو حامد ليلة السبت لإحدى عشرة ليلة بقيت من شوال سنة ست وأربعمائة، وقد وقفت من تصانيفه المذكورة على «اللباب»، وهو مختصر جدًا يكاد أن يكون كالضوابط والقواعد، قال فيه: في باب إزالة النجاسة: إن الأرض إذا أصابها بول، وكانت صلبة صب عليها من الماء سبعة أمثال البول، وإن كانت رخوة يقلعها. والثاني غريب، والأولى وجه مشهور.

وقال فيه أيضًا في الحيض: إن من محظوراته حضور الحائض المحتضر، قال: وكذلك النفساء، وكذلك هو في الرونق لأبي حامد، وليس هو الشيخ / أبا حامد الاسفرائيني على الصحيح، وهذا الحكم المذكور في هذين الكتابين من أغرب الغريب.

ووقفت أيضًا على «المقنع»، وهو كتاب مشتمل على أحكام مجردة بعبارة واضحة، وهو أكبر من «منهاج» النووي بيسير، نقلت منه في باب إتيان النساء في أدبارهن، ما لفظه: وإذا كان للرجل جماعة نساء أو إماء جاز أن يطوف بغسل واحد، غير أنه يجب أن يغسل فرجه قبل مواقعة الثانية، هذا لفظه بحروفه، والذي أظن أن مراده يستحب أن يغسل، ولكن النسخة التي وقفت عليها قديمة لعلها كتبت في حياة المحاملي، أو بعد موته بقليل، وكنت وقفت على هذه النسخة وأنا بالقاهرة في سنة ست وثمانمائة فتتبعت نسخ هذا الكتاب فوقفت منها على ثلاث نسخ، وفيها: يجب. والله أعلم هل هو من نقل الناسخ أو هو مراد المصنف، ويكون له تأويل فيه أو جواب عنه، إذ فوق كل ذي علم عليم.

وأما جد أبيه فكان فقيهًا فرضيًا محدثًا، وهو شيخ سُليم الرازي - بضم السين المهملة - في الفرائض، ولد سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة.

قال الذهبي: إنه مات في رجب سنة سبع وأربعمائة[2].

---

(١) ذكر هذا الخطيب البغدادي في تاريخه: ٤/٣٧٢.

(٢) العبر: ٢/٢١٤، وانظر شذرات الذهب: ٣/١٨٥، ومرآة الجنان: ٣/٢٠.

أما جد أبي أبيه فهو أبو الحسن أحمد، سمع الحديث من أبيه القاسم وجماعة / وصنف ومات سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة، قاله ابن الصلاح[1]، وقال إن العبادي في طبقاته[2]؛ ذكر شخصًا، وعبر عنه بأبي الحسن المحاملي الكبير، وقال إنه كان معظمًا في زمانه، وإن الأصحاب نقلوا عنه وزعم أنه ليس من هذا البيت.

قال ابن الصلاح: وهو أحمد هذا أبي جد المحاملي فيما أظن.

وأما جدهم القاسم فكان أيضًا من أهل الحديث والعلم، وكان له أخ يقال له: أبو عبد الله الحسني، ذكره العبادي والتفليسي، قال: سمع أباه وغيره وتولى القضاء سنة تسع وعشرين وثلاثمائة، وأقام فيه زمانًا طويلًا ينتقل من مملكة إلى مملكة، وكان عفيفًا نزهًا، مات سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة.

واعلم أن العبادي ذكر في طبقاته ما سبق من ذكر هذين الأخوين فجعل القاضي أبا عبد الله جد المحاملي صاحب هذه الترجمة وأخاه القاسم عمه.

قال ابن الصلاح: وهو غلط مخالف لما ذكره الخطيب وغيره من البغداديين المحدثين الذين هم أهل هذا الشأن[3]، وكان لأبي عبد الله الحسن أخت يقال لها: أمة الواحد، واسمها ستيتة، وهي أم القاضي أبي الحسين محمد بن أحمد بن القاسم المحاملي، فتكون جدة المحاملي صاحب التصانيف المشهورة، لأبيه، وكانت عالمة فاضلة، من أحفظ الناس للفقه، وحفظت القرآن والفرائض والحساب والعربية، وغير ذلك من العلوم الإسلامية / وكانت تفتي مع أبي علي بن أبي هريرة، كثيرة الصدقة والمسارعة إلى الخيرات، سمعت وحدثت، وتوفيت في شهر رمضان سنة سبع وسبعين وثلاثمائة - أي بسين ثم باء فيهما -، نقله الاسنائي[4] عن الخطيب[5] والذهبي[6]، فظهر أن هذا البيت بيت سعيد قوادمه وخوافيه، صحيحة المعاني أبياته وقوافيه، وذكرت بهذه الترجمة فوائد منها: أن يحيى بن أكثم - بالثاء المثلثة - القاضي المشهور قال: اختصم إليَّ الجد الخامس في جامع الرصافة فطلب ميراث ابن ابن ابن ابنه، نقله في مرآة الزمان[7].

---

(١) طبقات ابن الصلاح: ١/٣٦٦.

(٢) العبادي له طبقات الشافعية طبع في ليدن عام ١٩٦٤ بتحقيق خفش وهفشفتر.

(٣) تاريخ بغداد: ٤/٣٧٢.

(٤) طبقات الأسنوي: ٢/٢٠٥.

(٥) تاريخ بغداد: ١٤/٤٤٤.

(٦) العبر: ٢/١٤٩.

(٧) مرآة الزمان لابن الجوزي، طبع بالهند.

هذا وإن لم يكن من أحوال بيت المحاملي في شيء، وإنما ذكرته لما سمعت بتكرار ذكر الأجداد. ومنها أن المحامل جمع محمل، قال في الصحاح: المحمل واحد محامل الحاج[(١)].

وقال العسكري[(٢)]: أول من اتخذ المحامل: الحجاج بن يوسف الثقفي، قال القائل:

أول عبدٍ صنع المحاملا　　　أخزاه ربي عاجلاً وآجلاً

وفي المحامل من الفوائد اللطيفة ما يضيق عنه هذا المجموع، منها: أن المرأة المذكورة اسمها ستيتة - بضم السين المهملة - وهو تصغير سِتّ.

وقد سئل النووي في الفتاوى: إذا سمى بنته ست الناس، أو العرب، أو ست العلماء ماحكمه؟ وهل هذه اللفظة صحيحة أم لا؟ أجاب: بأن هذه اللفظة / ليست عربية، بل هي باطلة من حيث اللغة، وقد عدها أهل العربية في لحن العوام، فقالوا من لحنهم قولهم: ست بمعنى سيدة، وأما حكمها من جهة الشرع فمكروهة كراهة شديدة، وينبغي لمن جهل وسمى به أن يغير الاسم، وثبت في الصحيح أنه ﷺ غيّر اسم بَرَّة فسماها زينب[(٣)]، والله أعلم.

هذا جوابه، وقد نقلت من خط ابن كان وكان الموصلي الدمشقي المحدث، قال: نقلت من خط شيخي ابن الصلاح الأبرار في «النرجس»:

أنت يا نرجسة الروض　　　لما في الروض سِتْ
ودليل القول فيه　　　إنّ أوراقك ست

ونقلت من خط القاضي بهاء الدين السبكي من أبياته التي أجاب بها جدي لأمي أم خليل الصوفية النويرية، وتقدم ذكر بعضهما، وذكر هذا البيت أيضًا:

ولو كان ست في النساء كذا　　　لما فضل الرجال إذن على النسوان

وذكرت من مجون المعمار الشاعر العامي المعروف بالحجار وبغلام النوري وبالحايك، وبالملك، وتوفي سنة تسع وأربعين وسبعمائة، واسمه إبراهيم قوله:

شهر الصيام تقضت　　　أوقاته بالأمانة
قالوا: اتبعوه بست　　　قلت: ستي فلانة /

والاستطراد يخرج بنا إلى الاسترسال، وكما قيل الحديث شجون وأنواع كثيرة وفنون.

---

(١) الصحاح، للجوهري: ٤/١٦٧٨ مادة (حمل).
(٢) كتاب الأوائل لأبي هلال العسكري: ٢/٥٣.
(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب تحويل الاسم إلى اسم أحسن منه ١٠/٥٧٥.

١٧. الإمام الفقيه الزاهد أبو جعفر عمر بن مكي الخوزي

ومنها حجر عليه بعد البسملة، وبعد قوله تعالى: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ إلى قوله: ﴿وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[1]:

هذا قبر الفقير إلى الله تعالى الشيخ الفقيه الإمام العالم العابد الزاهد الورع شيخ الطريقة ومعدن الحقيقة، قدوة السالكين، كهف الفقراء[2] والمساكين، سراج الدين شمس الشريعة، مفتي الفريقين أبي جعفر عمر بن مكي بن علي الخوزي قدس الله روحه، ونوّر ضريحه، توفي ليلة الأربعاء السادس عشر من شهر الله المحرم سنة سبع وعشرين وستمائة.

وعلى أعلى الحجر الصلاة على النبي ﷺ والشهادتان ولا إله إلا الله عدة للقاء الله، وعليه أيضًا: رحم الله من قرأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ ودعا لي بمغفرة فعسى الله.

وهذا الرجل ذكره ابن النجار في تاريخه وقال: إنه قرأ في مذهب الشافعي رضي الله عنه الفقه والأصول والخلاف والجدل، وكان متعبدًا سالكًا طريق الزهد، والخلوة، مداومًا على الصيام والصلاة، زاهدًا في المناصب، مع اشتهار اسمه وعلو مرتبته، ثم مضى إلى مكة وحج وجاور بها على أحسن طريقة/ وأجمل سيرة إلى أن توفي بها في صفر سنة سبع وعشرين وستمائة، وأظنه جاوز الستين، هذا كلام ابن النجار.

والذي على حجر قبره أنه توفي في المحرم كما سبق، والخوزي - بضم الخاء المعجمة وسكون الواو وبعدها زاي - وهو نسبة إلى موضعين:

أحدهما: خوزسان، وهي بين بلاد فارس والبصرة، ويقال لها بلاد الخرز.

والثاني: إلى شعب الخوز بمكة[3]، قاله ياقوت.

والرباط المشهور بمكة المشرفة بـ «رباط الخوزي» هو له وهو داخل الزيادة التي عند باب إبراهيم، وهو رباط حسن فيه جماعة من أهل الخير.

---

(١) سورة النور، آية: ٣٧-٣٨.

(٢) هذه أوصاف يطلقها الصوفية، فالمؤلف ينقل هنا ما وجده على الحجر المذكور.

(٣) معجم البلدان، لياقوت الحموي: ٢/٤٦٧.

١٨. التاجر إبراهيم الفارسي

ومنها حجر عليه بعد البسملة، وبعد قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾[١]... إلى آخرها، ما صورته:

هذا قبر الشيخ الشهيد غياث الحرمين الناخذة[٢] إبراهيم رامشت بن الحسين بن شيرويه بن الحسين بن جعفر الفارسي، توفي في شهر شعبان سنة أربع وثلاثين وخمسمائة رحمه الله تعالى، ورحم من ترحم عليه وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليمًا، انتهى.

وهذا الرجل كان من أكبر التجار، وأعظم السفارة إلى الهند، صاحب مال عظيم، وصيت بعيد، وشهرة سائرة، وهمة عالية، كسا الكعبة الشريفة في سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة لاختلاف حصل بين الملوك فقام بكسوتها من الثياب الفاخرة، وبما / وجد إليه السبيل، فبلغ ثمن الكسوة ثمانية عشر ألف دينار مصرية، قاله ابن الأثير في تاريخه الكامل[٣]، ففاز بهذه المنقبة العظيمة والفرصة والغنيمة.

وله رباط جيد على باب الحزورة تجاه الركن اليماني، وله بابان أحدهما داخل الحرم الشريف، والآخر خارجه، ومن هذا الرباط كان الحريق العظيم الذي احترق به نحو ثلاثة أروقة من الحرم الشريف، وذلك في سنة اثنتين وثمانمائة.

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٨٥.

(٢) هو مالك سفينة البحر، أو وكيله، فارسي معرَّب، والجمع: النواخذة. انظر: رسالة في التقريب للمنشي، ص: ١٩٨، تحقيق: د/ سليمان العايد.

(٣) الكامل في التاريخ، لابن الاثير: ٣٦٣/٨.

١٩. السيدة بلطون بنت عبد الله الحرة، رضاع الإمام

ومنها حجر عليه بالخط بعد البسملة، وبعد قوله تعالى: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ﴾[(١)]... إلى آخرها، ما صورته:

هذا قبر الجهة الكريمة السيدة الجمالية بلطون بنت عبد الله الحرة الموسومة برضاع الإمام المتطهر بالله أمير المؤمنين قدس الله روحه ونور ضريحه، وجعل الإمامة باقية في عقبه إلى يوم الدين، رحمها الله وألحقها بنبيها محمد ﷺ، توفيت ليلة الأربعاء لثلاثة وعشرين رجب سنة تسع عشرة وخمسمائة، وصلى الله على محمد، انتهى.

الخليفة هو: أبو العباس أحمد بن المقتدي بأمر الله بن أبي القاسم عبد الله بن ذخيرة الدين محمد بن القائم بأمر الله عبد الله بن القادر أحمد بن إسحاق بن المقتدر جعفر بن المعتضد بن الموفق طلحة ابن المتوكل جعفر بن المعتصم بن الرشيد بن المهدي/ بن المنصور، ولي الخلافة بعد موت أبيه ثامن عشر من المحرم سنة سبع وثمانين وأربعمائة، ومولده يوم السبت العشرين من شوال سنة سبعين وأربعمائة، وبويع له وهو ابن ست عشرة سنة وشهرين؛ وتوفي سنة اثنتي عشرة وخمسمائة، في ثاني عشر ربيع الآخر، وكانت ولايته خمسًا وعشرين سنة وأشهرًا، كما سبق، ولما بويع صلى على والده، وصلى بالناس صلاة الظهر، وكان حسن الخط، جيد التوقيعات، لا يقاربه فيها أحد، وكانت خلافته ستًا وعشرين سنة، وفي أيامه كان الغزالي، وألف له كتاب «المستظهري» وفي خلافته، دخل المهدي محمد بن تومرت إلى بلاد المغرب لطلب عبد المؤمن بن علي، والقصة مشهورة، وكان إمام المستظهر في صلاة التراويح أبو الخطاب علي بن عبد الرحمن بن هارون، وكان مقرئًا نحويًا عالمًا باللغة حسن الكتابة، صنف منظومة في القرآن، وسمع وحدث، ولد في العاشرة، وقيل في التاسعة بعد الأربعمائة، وتوفي في ذي الحجة سنة سبع وتسعين، ذكره السلفي في معجم شيوخه، وأثنى عليه خيرًا في علومه وفضائله، ويقال إن الخليفة المستظهر كتب إلى وكيله يوسف بن أحمد الخزري في بعض أشعاره:

قلت وقالوا غاب أحبابه ... وبدَّلوه البعد بالقرب
والله ما شطَّتْ نوى ظاعن ... سار من العين إلى القلب

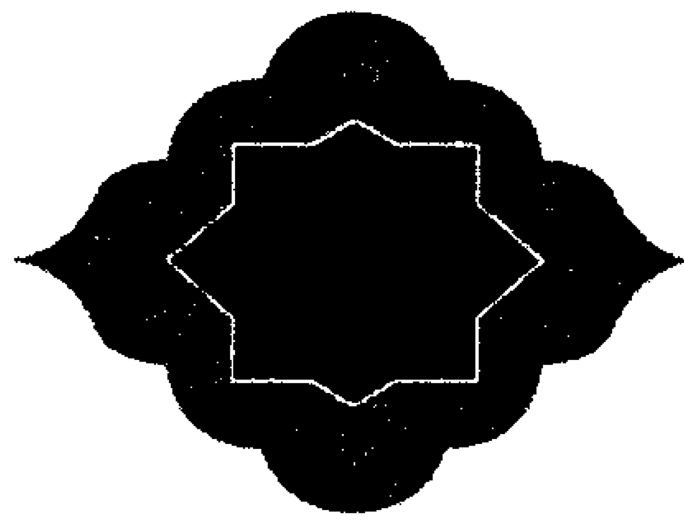
وهذان البيتان للعباس بن الأحنف الشاعر المشهور، وكان المستظهر ميمون الطلعة،/ لين الأخلاق، حميد الأيام، موصوفًا بالعطاء والكرم، يحب العلماء ويتفقد الفقراء.

---

(١) سورة التوبة، آية: ٢١.

قال ابن النجار: أنشدني محمد بن محمود المعدل، قال: أنشدنا أبو سعد عبد الكريم بن محمد ابن منصور السمعاني، وذكر أنها للمستظهر:

أذاب حرّ الهواء في القلب ما حمدا ... يومًا مددت إلى رسم الوداع يدا
فكيف أسلك نهيج الاصطبار وقد ... أرى طرائق في مهوى الهوى قددا
قد أخلفَ الوعدَ بدرٌ قد شغفت به ... من بعدما قد وفى دهري بما وعدا
إن كنت أنقض عهد الحب في خلدي ... من بعد هذا فلا عاينته أبدا



٢٠. عبد الله بن عبد السلام الدكالي

ومنها حجر في الشعب المشهور عند أهل مكة الآن بشعب النور عليه بعد البسملة وبعد قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا﴾(١) إلى قوله تعالى: ﴿عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ ما صورته:

هذا قبر الشيخ الصالح العابد الزاهد الورع الذاكر لربه الفار إليه من ذنبه، المستبشر بلقائه وقربه أبو لكوط عبد الله بن عبد السلام بن عبد الرحمن الدكالي نزيل مكة، رحمه الله تعالى توفي يوم الجمعة ثاني صفر سنة تسع وعشرين وستمائة، انتهى جميع ما وجدته على الحجر المذكور.

هذا الرجل كنيته أبو لكوط -بفتح اللام وضم الكاف المشددة وبعدها واو وطاء مهملة- وهو/ من أصحاب الشيخ العارف عبد الرزاق صاحب شيخ المشائخ أبي مدين، ذكره الشيخ قطب الدين القسطلاني في كتاب «ارتفاع الرتبة باللباس والصحبة»، وقال: كان من رجال الله تعالى، وأرباب المجاهدات والمكاشفات، والأحوال والمنازلات(٢)، وكانت له تارات من يراه فيها يعتقد أنه مجنون، يجري من أول الحرم إلى آخره، ومن أول المسعى إلى آخره، وهو يذكر بصوت عالٍ: يقول: الله، الله وكان قصده بذلك قهر نفسه، وكسر جاهه وحشمته عند العامة، وكان يطوي الأيام والليالي، ومن جملة ما جرى لي معه أني مرضت بالحمى وأنا صغير السن فجاءني بدرهم وقال لي: اشتر به ثلاثة أيام عسلاً فاشترى لي ذلك فشربته، فاسترحت وحملني مرارًا من باب دار العجلة، إلى حاشية الطواف، على ظهره، عند هيجان حاله، ثم يعيدني إلى الموضع الذي أخذني منه، وكانت له كرامات عظيمة نفعنا الله تعالى به.

هذا كلام الشيخ قطب الدين القسطلاني، وذكر في آخره أنه صاحَبَ مَنْ سبق ذكره.

وقبر هذا الرجل مشهور عند أهل مكة بالكبريت الأحمر، وبالترياق المجرب معروف بإجابة الدعاء، مقصود بالزيارة لذلك(٣)، وعلى قبره من الأنوار والهيبة والجلال ما يدل على ذلك، وطيب تراب القبر، يدل على القبر، وقد كتبت هذه الترجمة عند قبره المبارك نفعنا الله به وبأمثاله وأعاد علينا/ من بركاته وأحواله.

وموضع قبره في «الشعب» الذي هو على يسرة المتوجه إلى ثنية الحجون.

(١) سورة آل عمران، آية: ١٩١.

(٢) هذه أوصاف للصوفية، ولو نزه المؤلف كتابه عن ذلك لكان حسنًا.

(٣) لا تتخذ القبور مواضع للدعاء، وإنما السنة أن يُدعى للميت بما أثر عن رسول الله ﷺ من الدعاء، ولا يزاد على ذلك.

وفي هذا الشعب جماعة من أولياء الله تعالى وخيار عباده، حتى إنه اشتهر عندهم بـ: «شعب النور»، لما يظهر عليه من النور العظيم نفع الله تعالى بمن حل فيه وثوى وأعاد علينا من بركات أسرارهم ولكل امرئ ما نوى.



٢١. علي بن المكرم الشولي

ومنها حجر عليه بعد البسملة، وبعد قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ إلى قوله: ﴿أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[١] ما صورته:

هذا قبر الفقير إلى رحمة الله علي بن أبي المكرم بن الشولي صاحب الشيخ علي بن إدريس قدس الله روحهما، توفي في شهر صفر من سنة أربع وأربعين وستمائة وصلى الله على سيدنا محمد وآله، انتهى ما وجدته.

وهذا الرجل يحفى القلم عن تسطير اليسير من مناقبه، ويعجز الكاتب البليغ عن بلوغ وصف بعض مراتبه، له عند أهل مكة شهرة عظيمة، ولقبره عندهم مكانة مكينة جسيمة، إن قلت: إنه من أشهر قبور المعلا، يقصد بالزيارة إن لم يكن أشهرها فما بالغت، وإنما قلت: إن له عندهم من المنزلة ما ليس هو لغيره من أمثاله فما جاوزت، وكان عند قبره قبة لطيفة[٢]، ولكنها اليوم سقطت، وأما الحال الذي يحصل للقلوب عند قبره من الانشراح والسرور والاستبشار بقضاء الحوائج مع الهيبة الزائدة فهذا شيء لا يوصف.

وفي آخر قبره عند قدميه «حجر طويل» مشهور البركة لمن التزمه بيده[٣]، وسأل الله قضاء/ مأربه، كما سمعنا ذلك من جماعة من كبار المشايخ وعنهم نفع الله به وبهم، وقد ذكره الشيخ قطب الدين القسطلاني في كتابه «ارتفاع الرتبة باللباس والصحبة» فيمن رآه، فقال: ورأيت الشيخ الشولي، وكان من أصحاب ابن إدريس، انتهى.

وكتبت هذه الترجمة عند قبره السعيد، فإني كثير الإلمام به والجلوس والدعاء عنده وملازمته[٤]، بلغنا الله ما نؤمله من خير الدنيا والآخرة وأفاض علينا نعمه الباطنة والظاهرة.

---

(١) سورة يونس، آية: ٩-١٠.

(٢) لا يجوز بناء القباب على القبور، وهو أمر منكر بدعي، لم يؤثر من السلف الصالح فعله.

(٣) التزام هذا الحجر بقصد حصول البركة، أمر في غاية الغرابة، بل هي بدعة شنيعة تفضي إلى الإشراك بالله، ثم أين الدليل على جواز ذلك من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

(٤) الدعاء عند القبور إنما هو الدعاء المأثور، ولا يجوز ما عدا ذلك؛ ولم يؤثر عن السلف من هذه الأمة ملازمتهم للقبور.

٢٢. الشيخ أبو طالب عبد المحسن الأبهري، مفتي مقام إبراهيم

ومنها حجر عليه بعد البسملة، وبعد قوله تعالى: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾[١] ما صورته:

هذا قبر الشيخ الإمام الأوحد الزاهد العالم العابد الورع مفتي الفريقين، بقية السلف الصالح، قدوة المشايخ حجة الدين أبو طالب عبد المحسن بن أبو طاهر الأبهري، إمام مقام إبراهيم الخليل عليه السلام، توفي في العشر الأول من صفر سنة أربع وعشرين وستمائة رحمه الله تعالى رحمة واسعة وجميع المسلمين آمين.

هذا صفة ما وجدته، ونقلته من غير تغيير ولا تبديل، حتى من قوله: «ابن أبو طاهر»[٢].

وهذا الرجل كما وصف، وفوق ما وصف قد تقرر علمه ودينه وصلاحه وعرف، وهو: عبد الحسن بن قرامرز - بفتح القاف والراء بعدها ألف، وبعد الألف ميم مفتوحة، وراء ساكنة، وزاي- بن خالد بن الشهيد عبد الغفار بن إسماعيل بن أحمد الخفيفي - بالخاء/ المعجمة، وكسر الفاء - الأبهري الشافعي الصوفي.

ذكره القطب القسطلاني في كتابه «ارتفاع الرتبة»، ونسبه كما سبق، وقال: هو أبو طالب بن أبي العميد، خلاف ما على الحجر السابق، أنه ابن أبي طاهر؛ قال: ولد بأبهرزنجان في يوم الأربعاء الثالث والعشرين من رجب سنة ست وخمسين وخمسمائة، وصحب الصوفية، ورأى المشايخ الكبار، وسمع الحديث، وحج أكثر من أربعين حجة، وكان يؤم بالصوفية، برباط الناصري بالجانب الغربي من بغداد، ويحج في كل عام على سبيل الناصرية، المعروفة بالأخلاطية بنت قليج أرسلان، زوج الإمام الناصر لدين الله، من بني العباس، وكان كثير المجاهدة والعبادة، دائم الصيام سفرًا وحضرًا.

وحج سنة إحدى وعشرين وستمائة وأحضرني والدي بين يديه خلف مقام الحنفية مقابل ميزاب الكعبة فألبسني خرقة التصوف من يده[٣]، ثم حج سنة ثلاث وعشرين، وقد رتب إمامًا لمقام إبراهيم -عليه السلام- فأمَّ الناس فيه مدة مقام الحاج وبعده إلى أن توفي، وسكن في رباط المراغي الذي على باب الجنائز من الحرم الشريف، وأسمعني منه والدي بقراءته في هذا العام أجزاء منها: أربعون أبي المعالي

---

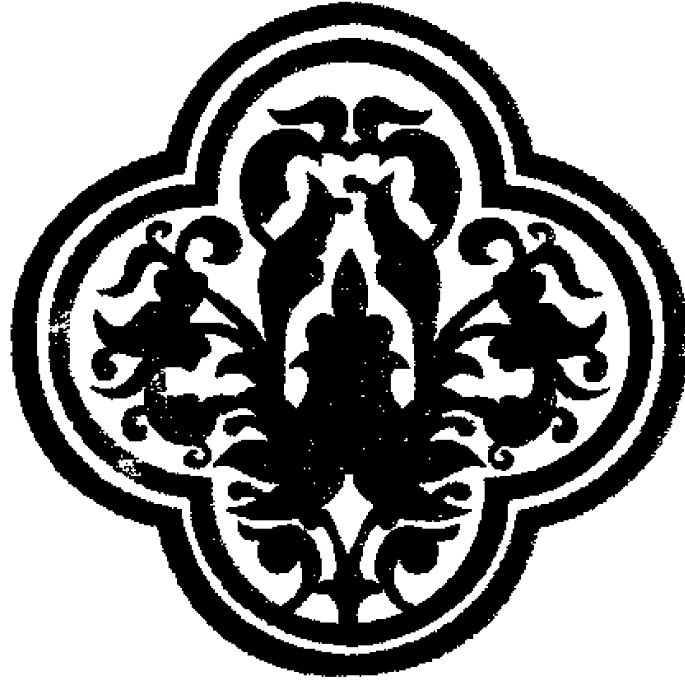
(١) سورة النساء، آية: ١٠٠.

(٢) يعني أن الصواب: ابن أبي طاهر.

(٣) لبس خرقة التصوف، ليس من الدين في شيء، بل هي بدعة لم يفعلها السلف الصالح من متقدمي هذه الأمة، وإنما ظهر ذلك في العصور المتأخرة.

عبد المنعم بن عبد الله الغراوي بسماعه منه، وغيرها، ودخلت إليه في مرضه وعدته، ودعا لي، وكان له قدم ثابتة في التصوف والتسليك، ومعرفة بكلام المشايخ وأحوال القوم، ومعرفة بالحديث، وحفظ واتقان، ذكره الحافظ بن النجار في تاريخ بغداد، والإمام الصدر كمال الدين عمر بن أبي جرادة المعروف بـ «ابن العديم» في تاريخ حلب وأثنى بما ذكرنا وبأزيد من ذلك، ولد بأبهر يوم الأربعاء الثالث والعشرين من رجب سنة ست وخمسين وخمسمائة، وتوفي بمكة في سابع صفر، وقال ابن النجار في ثامن صفر سنة أربع وعشرين وستمائة وصلي عليه بمقام إبراهيم، ودفن بالمعلا.

قلت: وحضرت دفنه بمقابر الصوفية، هذا كلام القطب القسطلاني في كتابه المذكور، وذكر بعد هذا الكلام سنده[1] في إلباس الخرقة.



(١) هذا السند فيه رجال مجاهيل؛ لا يعرف حالهم، بل الأسانيد في هذا الشأن غالبها موضوع مكذوب.

٢٣. محمد بن عبد الله بن محمد المعروف بالمقدم

ومنها حجر عليه بعد البسملة والصلاة على النبي ﷺ، وبعد قوله تعالى: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا﴾[(١)] إلى آخر الآية ما صورته: هذا قبر العبد الفقير إلى الله تعالى، رحمه الله، السعيد الشهيد محمد بن عبد الملك بن محمد بن محمد المعروف بـ: «المقدم»، توفي بمنى يوم الخميس الحادي عشر من ذي الحجة سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة، رحمه الله وجميع المسلمين آمين، وعلى جوانب الحجر قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًا﴾ إلى قوله: ﴿أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[(٢)]، انتهى ذلك.

هذا آخر ما وجد من هذا الكتاب بخط جامعه العبد الفقير إلى الله تعالى محمد بن علي القرشي

العبدري الشيبي الشافعي

رحمه الله تعالى وجميع المسلمين آمين

وصلى الله على سيدنا محمد

وعلى آله وصحبه وسلم

وكان الفراغ منه يوم الأحد المبارك

خمس خلت من شهر ربيع الثاني

على يد كاتبه الفقير أحمد الأزهري

سنة ١٢٣١هـ

---

(١) سورة النساء، آية: ١٠٠.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٦٩–١٨٢.

جاء في اللوحة الأخيرة من النسخة المرموز لها بـ(ب) تقريظ للكتاب من أبي القاسم بن علي بن محمد الشهير بـ«ابن زبيدة القحطاني» ما نصه:

تم كتاب الشرف الأعلى ... تاريخ ألواح قبور المعلا
وهو كتاب فائق المعاني ... ورائق التصريف في المباني
تصنيف مولانا الأجل القاضي ... سيف الشريعة الصقيل الماضي
قاضي قضاة مكة المشرفة ... محمد الشيبي وافي المعرفة
صاحبنا جمال دين الله ... ابن علي العابد الأوَّاه
فاتح بيت ربنا الحرام ... العالم ابن العالم العلام
بيّن فيه فضل كل عالم ... أو عابد مجاور ملازم
ألفاظه من عاليات الفقر ... كأنها من غاليات الدرر
أو مثل زهر فوق نهر جار ... في روضة أنيقة الأنوار
أنوارها مثل النجوم تزدهر ... والكل من أوراقها مستشر
باكرها بجوده الوسمي ... وما بعده زاوجها الولي
مرت بها نسيم أرواح الصبا ... فاهتز منها كل غصن وصبا
وفاح ريح المسك والعنابر ... منها وعرف كل طيب عاطر
فرحمة الله عليه تنشأ ... بالصبح والليل إذا ما يغشى
يا رب واغفر للذي تسببا ... لكتبه وكان فيه السببا
ابن أبي اليمن على الرضى ... قولًا وفعلًا كعلي المرتضى
خير النوريين أصلًا وأبا ... أفضل من فيهم قضى وخطبا
وخير مَنْ مَسَّ بأنمل قلم ... منهم وأمّ في مقامات الحرم
لا زال في ميمون أمن ودعة ... ونعمة طائلة مع سعة
وكان نجز كتبه في أول ... يوم من الحجة ذي التبتل
ختم شهور أربع قد أتت ... من خمسين وثمانمائة
لهجرة النبي صلى الله ... عليه السلام قد والاه
بمكة قبالة الميزاب ... من وسط بيت ربنا الوهاب
ناظمه زائر كتبه أبو ... القاسم العاصي المسيئ المذنب

ابن علي بن محمد شهر بابن زبيدة الذي به شطر
نشأته بالبلد اليماني وينتمي للنسب القحطاني
عامله الله بلطفه الخفي وأنجز الإله وعده الوفي
ثم الصلاة والسلام أبدا على النبي الهاشمي أحمدا
ما سار في ظلام الليل سار وانسلخ الليل من النهار

آمين يا رب العالمين

سابع شوال سنة ١١٩١هـ

الفهارس

فهرس الأعلام

أ

ح

خ

د

ذ

ر

ز

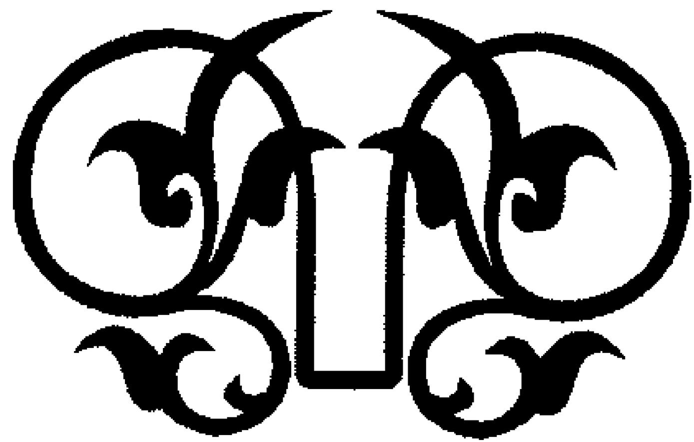
س

ض

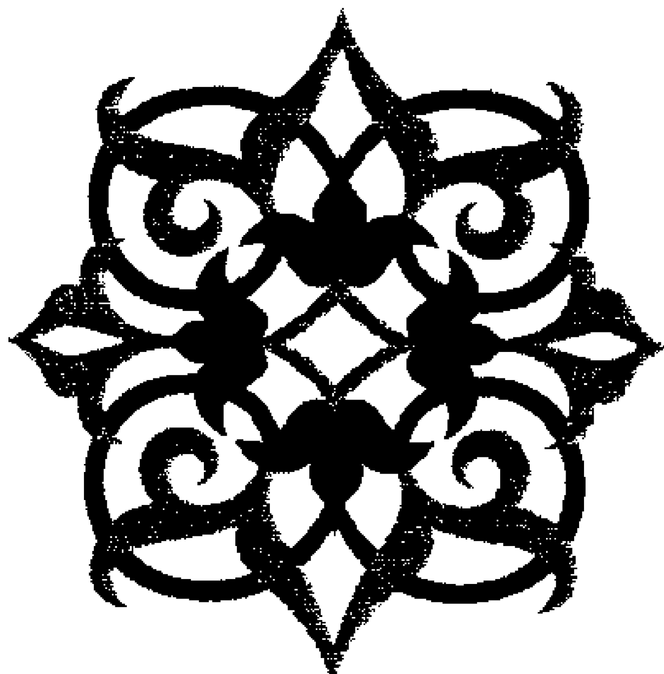
ط

ع

ي



فهرس الأماكن



فهرس الأعلام المترجم لهم

فهرس الموضوعات

